وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

بيت المقدس بين المسلمين والصليبيين خلال العصر الأيوبي

(570 – 627 هـ/ 1174 – 1229 م)

دراسة تحليلية ومقارنة

من إعداد الطالبة:

✓ زينب كريريش

إشراف الأستاذ:

د.قاوي محمد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
		رئيسا
د.قاوي محمد		مشرفا ومقررا
		ممتحنا

السنة الجامعية: 2023/2022

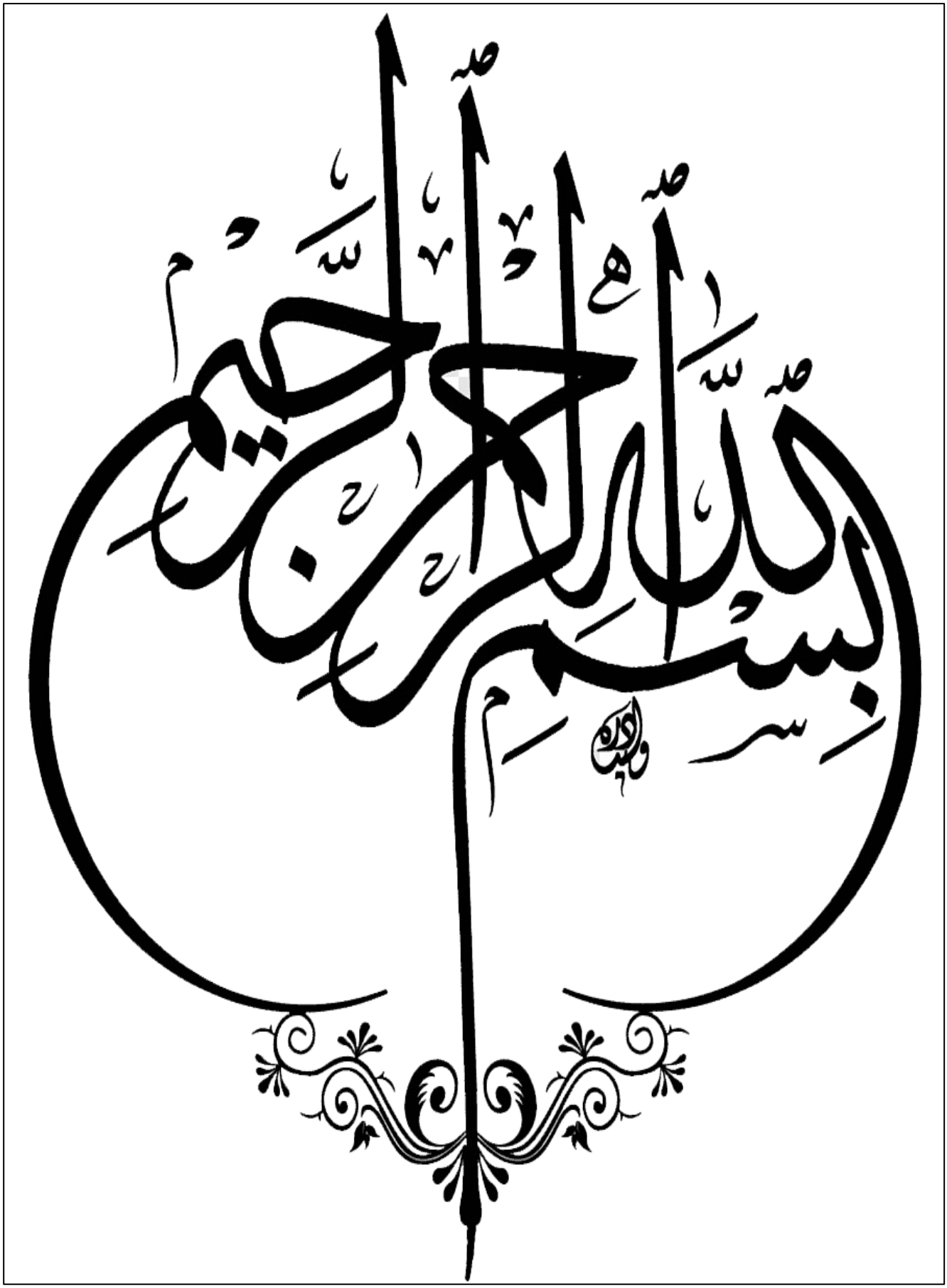
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا العمل :

- ✓ للوالد الكريم الحاج إبراهيم كريشي - رحمه الله تعالى - و أسكنه فسيح جناته.
- ✓ إلى الوالدة الكريمة أطال الله تعالى في عمرها و أمدها بالصحة و العافية
- ✓ إلى زوجي عمر دصعة الذي ساندني طوال المشوار الدراسي
- ✓ إلى أبنائي الأعزاء و قرة عيني: محمد رضا، مريم ساجدة، مارق شهد حفظهم الله تعالى و رعاهم من كل سوء.
- ✓ إلى إخواني و أخواتي العزيزات
- ✓ إلى كل من وقف لجانبي و ساعدني و لو بالكلمة الطيبة.

الباحثة زينب .....

شكر وعرفان

أحمد الله تعالى على أن وفقني لإتمام هذا البحث، مصداقا لقوله تعالى:(فاذكروني أذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون) .

الحمد لله و الصلاة و السلام على معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه و من اتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين، كم يسعدني في هذه اللحظات الأخيرة التي توشك فيها الدراسة على الانتهاء بوضع اللمسات الأخيرة، أن أتوجه بالشكر و الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه، الذي بتوفيقه تتم الصالحات، ففي هذه اللحظة التي تكاد فيها الصعوبات و المتاعب تتحول إلى أمل في إتمام و إنجاح هذا العمل، و انطلاقا من كل المعني السامية ، فإني أتشرف بتقديم خالص الشكر و التقدير و العرفان إلى الأستاذ الفاضل : د. قاوي محمد الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، فوجدت منه النصح و التوجيه و حسن المعاملة، ما أعانني على إتمام هذا الجهد، فجزاه الله خير الجزاء، و الشكر الموصول لكل من ساندني و وقف معي في مشواري الدراسي العلمي .

فأسأل الله العلي القدير أن يثيب الجميع خير الثواب.

قائمة الاختصارات والرموز

الرمـــز	المختصر
ت	تاريخ وفاة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.م.ن	دون مكان نشر
د.ن	دون ناشر
Ibid.	المرجع نفسه
Op.cit.	المرجع السابق
P	Page
Vol	Volume
T	Tome

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله وكفى الصلاة والسلام على نبيه المصطفى وبعد:

إن الكتابة والبحث في تاريخ بيت المقدس لأمر عظيم، كيف ولا والقدس هي قبلة المسلمين الأولى، و منتهى الإسراء و مبتدأ معراج نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام إلى السماء، و هي ثالث المساجد التي تشد لها الرحال، و مهوى الأفئدة، و لقد كانت مجمعا للمدارس و رمزا لكل راغب في العلم و المعرفة.

ففي الوقت الذي عرف فيها الشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي انقسام للقوى المتصارعة منها الدولة الفاطمية في مصر والخلافة العباسية في بغداد التي أصابها الضعف والانهيار، والتي ناصبت كل واحدة منهما العداء للأخرى مما أدى إلى استهلاك طاقة كل منهما فعانوا من أوضاع متردية.

فالخلافة العباسية وقعت تحت التسلط البويهي، إلى أن واجهت الأمة الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري (491هـ /1098م) تهديدا استهدف السيطرة على أراضيها و تدمير كيانها وحضارتها، و هو ما عرف بالحروب الصليبية التي امتدت غلى ما يقارب قرنين من الزمن، و تمكنت أولى الحملات من أن تقيم لها في المشرق العربي عدة إمارات صليبية كالرها، و أنطاكيا، و طرابلس، و بيت المقدس، فلقد كانت هذه المرحلة من عمر الأمة الإسلامية مرحلة قاسية من مراحل تاريخها، فلقد دنس الصليبيون هذه البقاع الطاهرة ، ونهبوا خيراتها، و قتلوا و شردوا أهاليها، دون مراعاة لقداسة تلك المنطقة.

قد تنبه المسلمون لمخاطر هذه الحركة، فوحدوا جهودهم على عهد صلاح الدين الأيوبي الذي انزل بهم هزيمة قاسية في معركة حطين عام (583هـ /1187م) واسترد منهم معظم المناطق التي كانوا قد استولوا عليها بما فيها بيت المقدس.

هذا ما دفعني للبحث في تاريخ بيت المقدس بين المسلمين والصليبيين خلال العصر الأيوبي (570هـ -627هـ / 1174م – 1229م) للوقوف على أهم المحطات التاريخية للأمة في هذه الحقبة الزمنية.

وتكمن أهمية الدراسة في:

- التعرف على مكانة بيت المقدس لدى المسلمين والصليبيين
- معرفة طبيعة الأحوال السياسية في المشرق الإسلامي قبيل سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين.
- إدراك ماهية الحروب الصليبية والدوافع كانت من ورائها.
- الوقوف غلى الجهود التي بذلها صلاح الدين الأيوبي لتوحيد الإسلامية لمقاومة الخطر الصليبي وصولا إلى النصر الكبير الذي من خلاله تم استرجاع بيت المقدس في معركة حطين (583 هـ / 1187 م).
- التعرف على أوضاع الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين والنزاعات الداخلية بين أفراد الأسرة الأيوبية، وأثر ذلك على وضع بيت المقدس وأطماع الصليبيين.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضع لشهادة الماستر يعود لسببين هما:

– أسباب ذاتية:

- هو ميولي لمعرفة أحوال بيت المقدس في تلك الفترة من الصراع المحتدم الذي انتزع حرية بيت المقدس ونهب خيراتها وداس على قدسيتها.
- معرفة الشخصيات القيادية التي تحدت قوى الغرب الصليبي، وثارت من أجل بيت المقدس واستردته من بين قبضة الغزاة.

أسباب موضوعية:

- الالتفات إلى بيت المقدس و الرجوع لتسليط الضوء على كيفية تحريرها على يد صلاح الدين(الجانب العسكري).
- تسليط الضوء مرة أخرى على بيت المقدس والتساؤل عن أسباب التفريط فيها واللجوء إلى المفاوضات والتسليم
- الرغبة مني في الغوص أكثر في تلك الفترة التاريخية المليئة بالأحداث (الحرب الصليبية الثالثة).
- توضيح صورة الأحداث، والمقارنة بينها خاصة أنها تتميز بالحرب تارة والسلم تارة أخرى.

وبالنسبة لإشكالية الدراسة:

صادفتني في عملي هذا تساؤلات هامة فقمت بتسليط الضوء عليها، والخروج بإشكالية عامة جاءت صياغتها كالتالي:

- إذا كان الاعتداء على بيت المقدس أمر يمس بعقيدة كل مسلم، فكيف كان اندفاع صلاح الدين نحو التحرير؟
- إذا كانت بيت المقدس ذات أهمية لدى المسلمين والصليبيين على حد السواء، فكيف كان الكر والفر بينهما من أجلها في المعارك؟

وكذا تبادر إلى ذهني التساؤل حول أسباب تسليم القدس على طبق من فضة كما يقال للصليبين في عهد الملك العادل والكامل؟

المنهج المتبع في الدراسة:

ولمعالجة هذه الإشكالية والإجابة على فروعها تتبعت منهجا متبعا في كافة البحوث التاريخية الأكاديمية، متمثلا في منهج تشكيل من مجموعة من المناهج:

المنهج التاريخي الوصفي: الذي تم من خلاله الوقوف عند الأحداث والوقائع التاريخية كما عرضها ورآها أصحابها، ويقوم هذا المنهج على الاسترداد وتقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد الوقوف عنده ودراستها.

المنهج التحليلي: الذي كان الهدف من وراءه هو الوصول إلى جمع المادة وتمحيصها، فهو المناسب لتحليل المعطيات والوصول إلى النتائج الصحيحة.

المنهج المقارن: من أجل إدراك عوامل التشابه و الاختلاف بين معركتي حطين (583هـ / 1187م)، و أرسوف (587هـ / 1191م).

أما عن حدود الدراسة:

فقد شملت السياق التاريخي للحروب الصليبية (570هـ- 627هـ / 1179م – 1229م)، أما عن الحدود المكانية فقد ركزت في دراستي على بيت المقدس بصفة خاصة و بعض المدن الشامية التي كانت ساحته مسرحا لهذه الحروب.

عرض فصول الدراسة:

اعتمادا على المصادر و المراجع و جمع المادة العلمية كانت خطة البحث مكونة من مقدمة و ثلاثة فصول رئيسية، وفي نهاية البحث خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، ثم ألحقت الدراسة ببعض الملاحق و الفهرس و في آخر البحث و ضعت قائمة للمصادر و المراجع و المقالات و المجلات العلمية و كذا الأطروحات التخرج التي اعتمدت عليها الدراسة.

المقدمة ضمت الإطار العام للدراسة وخطة البحث وأهم مصادره العلمية.

❖ **الفصل الأول: فكان تحت عنوان: حروب الفرنجة ودوافعها**

واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث،

ففي المبحث الأول تطرقت لمكانة بيت المقدس لدى المسلمين والنصارى والتي شهدت فصول حاسمة من هذه الحروب.

أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن حالة العالم الإسلامي والغرب المسيحي قبيل الحروب الصليبية.

أما المبحث الثالث فكان بعنوان: الحروب الصليبية ودوافعها، فمن خلال هذا المبحث تطرقت للتعريف بهذه الحروب وماهيتها، و دوافعها المتمثلة في الدافع الديني و الدافع الاقتصادي، و الدافع السياسي، و الدافع الاجتماعي.

❖ **الفصل الثاني: نشأة الدولة الأيوبية وصراع صلاح الدين ضد الصليبيين**

وقد ضم هذا الفصل ثلاثة مباحث:

ففي المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية، تطرقت لترجمة صلاح الدين الأيوبي من حيث نسبه ولادته ونشأته، وتطرقت لنشأة الدولة الأيوبية.

- أما المبحث الثاني: صراع صلاح الدين ضد الصليبيين، تحدث فيه عن الصراع الذي احتدم بين صرح الدين والصليبيين ودارت مجرياته في معركة حطين التي و من خلالها تم استرداد بيت المقدس و كيف تعامل صلاح الدين مع الصليبيين بعد التحرير.
- أما المبحث الثالث كان بعنوان صلاح الدين بعد معركة حطين وأقصد بذلك معركة أرسوف ونتائجها وختمت هذا المبحث بالتطرق لجوانب الاختلاف بين معركتي حطين وأرسوف.

❖ **وفي الفصل الثالث: القدس بين المفاوضات و التسليم عند الأيوبيين**، وشمل هذا الفصل ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول فكان بعنوان بيت المقدس على طاولة المفاوضات و أهمها مفاوضات صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد، و كذا صلح الرملة

و وفاة صلاح الدين، أما المبحث الثاني فكان عنوانه بيت المقدس في عهد الملك العادل، موضحة لمجريات جهاده ضد الصليبيين إلى غاية تسليم القدس في عهد الملك الكامل، لأذكر بعد ذلك أوضاع بيت المقد بعد تسليمها للصليبيين.

ومن أهم المصادر و المراجع:

كان الاعتماد على الكثير من المصادر و المراجع، و من أبرزها:

1. ابن الأثير الكامل في التاريخ: لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد عز الدين ابن الأثير الشيباني الجزري، (ت 630هـ / 1233م)، وهو من كتب التاريخ الجامعة يعرض فيها كاتبه الأحداث حسب التسلسل الزمني، و قد استفدت من معلوماته عن الدولة الأيوبية من نشأتها إلى وفاة الملك العادل، و قد أفادني في الفصلين الثاني و الثالث.
2. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، و كتاب الذيل على الروضتين، للمؤرخ أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي(ت 665هـ /1266م)، فقد جمع الكثير من الحوادث و وفيات العلماء و رجال الدولة.
3. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، لمؤلفه جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت 697هـ / 1297م)، فقد أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامتها إلى نهايتها.
4. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، للمؤرخ قاضي القضاة، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (ت 681هـ /1281م)، و هو من كتب التاريخ و التراجم المشهورة.
5. معجم البلدان، لمؤلفه ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي، (ت 626هـ / 1228م)، ترجمة للمدن الموجودة في الدراسة.

و من المؤلفات الحديثة " المراجع الحديثة":

6. الحركة الصليبية صفحات مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، لمؤلفه سعيد عبد الفتاح عاشور، وقد أفادني في الفصل الأول من الدراسة في الحديث عن الحروب الإفرنجية.
7. كتاب ماهية الحروب الصليبية، لمؤلفه الدكتور قاسم عبده قاسم، و قد استفدت منه في الفصل الأول من الدراسة في الحديث عن ماهية الحروب الصليبية و دوافعها.
8. كتاب تاريخ الحروب الصليبية، لمؤلفه ستيفن رنسيمان.

ومن الصعوبات التي واجهتني خلال الدراسة:

الفترة الزمنية المخصصة لهذه الدراسة طويلة جدا ومليئة بالأحداث التاريخية فكان من الصعب الإلمام بكل أحداثها وتفاصيلها.

هذه الدراسة تحتاج إلى فترة زمنية أطول من أجل البحث وجمع المادة العلمية من أمهات المصادر والمراجع للحصول على المعلومات المناسبة، و هذا ما يتطلب جهد كبير لمقارنة المعلومات من مصادرها الأصلية و التأكد من صحتها نظرا لوجود اختلافات بين المؤرخين.

وفي ختام نسأل الله تعالى القبول وله الحمد في الأولى والآخرة الذي يسر ووفق والله من وراء القصد

و صلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله و صحبه وسلم.

الفصل الأول

حروب الفرنجة ودوافعها

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: مكانة بيت المقدس

المبحث الثاني: حالة العالم الإسلامي والغرب المسيح قبيل الحروب الصليبية

المبحث الثالث: الحروب الصليبية ودوافعها

الفصل الأول: حروب الفرنجة ودوافعها

المبحث الأول: مكانة بيت المقدس

المطلب الأول : مكانة بيت المقدس لدى المسلمين

قال الله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾.[1]

فلقد سجل القرآن الكريم مكانة عظيمة في قلوب المؤمنين، ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن القدس و ما حولها من فلسطين و بلاد الشام أرضا مباركة مقدسة بنص قرآني ثابت إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

فبيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، و مهبط الوحي للعروج برسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ إلى السماوات العلى ليرى هناك من آيات الله تعالى الكبرى

فالقدس أرض البركة و القداسة، فلقد بارك الله تعالى كل ما فيها: من ثمار و أشجار و أنهار و أمطار، و بارك حولها و فيها: بمن عاش على أرضها من أنبياء و صالحين ، و مما لا شك فيه :أن الأرض لا تقدس أحدا.[2]

و في المسجد الأقصى تضاعف فيه الصلاة، و قد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الصلاة في الأقصى بخمسمائة صلاة ، و رجح العلامة الألباني أنها بمائتين و خمسين صلاة .[3]من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : " تذاكرنا و نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم أيهما أفضل أمسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم أم بيت المقدس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " صلاة في

---

[1]. القرآن الكريم، ، سورة الإسراء، الآية 01.

2. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن ، ج5، ط 1، 1408 هـ ، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 139.

3. أبو بكر الواسطي، فضائل البيت المقدس، تحقيق أبو المنذر،ط1، تحقيق و تخريج و دراسة أبو المنذر الحويني، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، 2010.

مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ، و لنعم المصلى في أرض المحشر و المنشر ، و ليأتين على الناس زمان لقيد سوط أو قال قوس – الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له – أو أحب – من الدنيا جميعا . [1]

و كما هو ثابت في الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " [2]و بالجمع بين الحديثين ، فإن الصلاة في بيت المقدس تعدل مائتين و خمسين صلاة فيما سواه من المساجد ، و ليس كما جاء في أحاديث أخرى أن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة ، أو ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

وبيت المقدس ، هي أرض المحشر و المنشر ، و المحشر فإنه يحشر الناس إليها قبل القيامة من أقطار الأرض ، فيهاجر إليها خيار أه الأرض طوعا و يجتمعون فيها ، و أما شرار الناس فيحشرون إليها كرها [3] .

و هي أيضا أرض المنشر ، فمنها يجمع الناس إلى الحساب فينشرون من قبورهم ثم يساقون إليها و خصت بذلك لأنها الأرض التي قال الله تعالى فيها :(باركنا فيها للعالمين) [4] .و أكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت في العالمين شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر و المنشر [5].

فالقدس زهرة المدائن و مهد الرسالات السماوية حملت تاريخا طويلا يضرب بجذوره السنين و القرون الممتدة.

---

[1]. أخرجه ، الطبراني في الأوسط و الحاكم في المستدرك، و صححه الألباني في الصحيحة (6/954) .

[2]. أخرجه ، البخاري ، الصحيح ، برقم (1190) ، مالك بن أنس ، الموطأ ، صححه و رقمه و خرج أحاديثه و علف عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، برقم : (196/1)، ص 97. .

[3]. ابن رجب، مجموع الرسائل ،تحقيق: أبو مصعب طلعت فؤاد الحلواني، (د.ط)، دار المعارف ، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص 238.

[4]. القرآن الكريم، سورة الأنبياء ، الآية 71.

[5]. المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ط 2 ، دار المعارف ، بيروت ، 1972 م ، ص 171 .

و عليه فقد تفردت بلاد الشام عن غيرها من الأمصار و الأقطار و لا سيما بيت المقدس وبيت لحم[1] بمآثر دينية جعلت منها مهوى أفئدة الشعوب و محط تقديس و تعظيم أصحاب الديانات السماوية ، و قد زادها موقعها الجغرافي وسط العالم القديم استقطابا فضلا عن أنها مهد أولى الحضارات .[2]

كما تعد أرض الشام على قدر كبير من الأهمية و القداسة لدى المسلمين ، فقد ذكرها المقدسي بقوله : [3] " إقليم الشام جليل الشأن ، ديار النبيين و مركز الصالحين و مطلب الفضلاء ، به القبلة الأولى و موضع الحشر و المسرى ، و الأرض المقدسة و الرباطات الفاضلة و الثغور الجليل و مهاجر إبراهيم و مشاهد [4] الأنبياء و فضائل لا تحصى ..."

و من فضائلها ما ذكره ابن عساكر :[5] " ... دخلها النبي – صلى الله عليه و سلم – قبل النبوة و بعدها في غزوة تبوك و في ليلة الإسراء . ففي الشام المسجد الأقصى مهد الأنبياء من لدن إبراهيم – عليه السلام – غلى عهد النبي الخاتم محمد – صلى الله عليه وسلم – ولهذا جمعوا له هناك فأمهم في محلتهم ، و إن كانت مكة هي مبعث الدين فإن تمام ظهوره على يدي المهدي يكون بأرض الشام .[6]

و لذلك فلقد أولاها المحدثون و أصحاب التصانيف مكانة عالية ، و ذكروا ما قاله سيد الأولين و الآخرين – صلى الله عليه و سلم – فمنهم من أفرد الموضوع بتصنيف خاص ، و منهم من ذكر من

---

[1]. بيت لحم :مدينة بالقرب من إيليا – بيت المقدس – مكان مهد المسيح – عليه السلام – و فيها قبر داود و سليمان – عليهما السلام – تعرف عند اليهود ببيت داود ، ياقوت الحموي،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977ج 1 ، ص 521.

[2]. محمد كرد علي، خطط الشام، ط 3، مكتبة النوري، دمشق، 1987، ج 1 ، ص 55.

[3].المقدسي، الأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص 151.

[4].المشاهد : هي مرقد العظماء من الصحابة و التابعين و العلماء و الزهاد ، و هي أشبه بالزوايا يقصدها الناس أحيانا للتبرك ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج 3 ، ص 24 ،كرد علي ، خطط الشام ، ج 6 ، ص 153 .

[5]. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العموري ، (د . ط) ، دار الفكر ، بيروت ، 1995 م ، ج 1 ، ص 272 .

[6]. ابن تيمية ، مناقب الشام و أهله ، ط 1 ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، 1960 م ، ص 73 .

فضائلها الكثير فبوبوا لفضل الشام و فلسطين أبوابا خاصة ضمن أحاديث الفضائل التي ذكروها من كتبهم .

فمسجدها ثاني مسجد بني في الأرض، عن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : " المسجد الحرام " قلت : ثم أي ؟ قال : قال : المسجد الأقصى " قلت : "كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .[1]

و هي ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – :" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجد الرسول – صلى الله عليه و سلم – و المسجد الأقصى . [2]

المطلب الثاني : مكانة بيت المقدس لدى النصارى

لقد كانت بيت المقدس مهوى الشعوب المسيحية ، و ذات أهمية كبيرة على امتداد العصور ، فقامت بها اليهودية و النصرانية ، و انبعث من أرجائها مجد الإسلام ، و مجاز حجاج المسلمين إلى الأماكن الطاهرة الحجازية ،[3]و محط تقديس و تعظيم أصحاب الديانات السماوية ، و الفرق المختلفة خاصة و أنه على زيارتها وسكناها الأنبياء و الرسل –موسى و عيسى و محمد خاتم الأنبياء و الرسل عليهم السلام .[4]

[1] .أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ج5، ص150.

[2]. أخرجه ، البخاري (4/491) (1189) .

[3]. محمد علي كرد ، خطط الشام ، المطبعة الحديثة، دمشق، (د.ت)،ج 1 ، ص 55 .

[4]. السيوطي ، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق : أحمد رمضان أحمد ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، 2005 ، ، ج 1، ص 5 .

إن فلسطين كانت مهدا للديانة المسيحية فيها عاش المسيح عليه السلام ، و منها انطلق المبشرون إلى جميع أنحاء العالم .[1]

و لقد عانى المسيحيون من الاضطهاد الروماني ، فازدادت حركة الرهبنة .[2] و كان المسيحيون الأوائل يتجهون إلى صحراء سيناء ، و أول راهب عرف في التاريخ كان اسمه القديس أنطوان الذي توفي سنة 356 م [3] ، ثم جاء بعده الراهب المشهور باخوميوس (290-345 م) و هو أول من أصل سوري ، و أول من دعا إلى الرهبنة الجماعية بدل الرهبنة الفردية ، و قد انتشر نظام باخميوس الرهبنة الجماعية قي صحراء سيناء و الشام و حتى آسيا الصغرى ،[4] ثم انتقلت الرهبنة إلى غرب أوربا مع بداية القرن الثالث الميلادي .[5]

و مع بداية القرن الرابع الميلادي و اعتلاء قسطنطين عرش الإمبراطورية (306-337م) ، أوقف الاضطهاد الذي لحق بالمسيحية ،و عمل على إتباع سياسة متوازنة تجاه القوى الدينية المختلفة ، [6] قد تجسد ذلك في إعلانه عن مرسوم ميلان 313 م ، الذي يقضي بمنح المسيحيين الحرية في الدعوة و الترخيص لديانتهم و مساواتها بغيرها من ديانات الإمبراطورية .[7]

[1] .ستيفان رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ، 1968 ،ج 1 ، ص 63 .

[2] .أحمد رمضان أحمد ، شبه جزيرة سيناء، ، س 22 .

[3] .ل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة :محمد الدين حف ناصف ، مراجعة : علي أدهم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د.ت)،ص 90 .

[4] .نفسه ، ص 90 .

[5] . مانع بن حماد الجهيني ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، م 2 ، ط 4،دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، (د.ت)،ص 568. .

[6]. محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقة بين الشرق و الغرب ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط 1 ، القاهرة ، 2000.

[7] . مانع بن حماد الجهني ، المرجع السابق ، م 2 ، ص 568 .

بعد ذلك توجهت والدة قسطنطين هيلانة إلى فلسطين من أجل الكشف عن رفات السيد المسيح – كما يعتقد المسيحيون – و الحصول على كل متعلقاته ، و حسب زعمهم فقد عثرت على خشبة الصلب ، و دعم ابنها اكتشافها ببناء كنيسة القبر المقدس هناك ، و منذ ذلك الحين صار الحج إلى تلك البقاع تقليدا مقدسا لدى المسيحيين ، و قد حرصوا على اقتفاء أثر القديسة هيلانة في ذهابها إلى هناك و زيارة كنيسة القيامة .[1]فقد كانت القديسة هيلانة أول من أمر بتشييد كنيسة القيامة ، و التي دشنها البابا الإسكندري أثناسيوس الرسولي [2] عام 335 م ، ثم شيد بالقرب من القبر المقدس كنيسة موازية لها خمسة أروقة فسيحة سميت بكنيسة المرتيريون أي – الآلام – .[3]

و تعد كنيسة القيامة من أهم المعالم الدينية المسيحية عند جميع الطوائف المسيحية حيث يزعمون أن السيد المسيح – عليه السلام – صلب و دفن في هذا الموضع ، و كان ذلك يوم الجمعة ثم قام من قبره يوم الأحد .[4]

كما يحرص المسيحيون على زيارة بيت لحم جنوبي بيت المقدس باعتبارها مسقط رأس المسيح – عليه السلام – أين بنى قسطنطين (312 م – 337 م) في مغارة الميلاد عام 330 م كنيسة تعرف بكنيسة المهد [65] ، و يزعم المسيحيون أيضا أنهم عثروا على غرفة الأخير الذي تناوله السيد المسيح –

---

[1] .ستيفن رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 62 .

[2]. أثناسيوس : القديس، حمل لواء المعارضة لمذهب أريوس ، البعلبكي ، معجم أعلام المورد ، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، 1962م ،ص 7 .

[3]. ميخائيل مكسى إسكندر ، القدس عبر التاريخ ، مراجعة و تقديم : الأبنا غريفو ريوس ، (د . ط)، مطبعة رمسيس ، الجيزة ، 1972 م ، ص 154 .

[4]. الكتاب المقدس ، الإنجيل متى ، الإصحاح 28 : 1 – 5 ، ص 118 .

[5].كنيسة المهد : شيدت من قبل الإمبراطور قسطنطين بعد ثلاثة قرون من مولد المسيح –عليه السلام – ذكرا لهذا المولد ، و أقيمت على أنقاض معبد أدونيس الذي أقيم في عهد الإمبراطور هادريان (117 م – 138 م) فأمر قسطنطين بهدم المعبد و بناء الكنيسة ، محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية الإسلامية و الأماكن المقدسة، دار الهلال ، القاهرة ، (د .) ، ص 150 .

[6]. سفينسييسكايا ، المسيحيون الأوائل و الإمبراطورية الرومانية ، خفايا القرن ، ترجمة : حسان مخائيل إسحق ، ط 1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 2007 م ، ص 336 .

عليه السلام – مع تلاميذه فوق جبل صهيون ، و تخليدا لذكرى هذه المعجزة شيدوا كنيسة تعرف بكنيسة جبل صهيون.[1]

كما يقدسون موضع من مياه نهر الأردن اعتقادا منهم أن السيد المسيح – عليه السلام – حين بلغ التاسعة و العشرين و ثلاثة عشر يوما من عمره أي عندما دخل سن الثلاثين جاء إلى يوحنا المعمداني الذي بشر به البرية ، و في ذلك يقول متى [2] :"... و في ذلك الوقت ظهر يسوع و قد أتى من الخليل إلى الأردن قاصدا يوحنا ليعتمد على يده ..."[3] فضلا عن كنيسة الجشيمانية[4] التي شيدتها القديسة هيلانة ، و هو المكان الذي يعتقد أن السيد المسيح – عليه السلام – قد قضى آخر أيامه متعبدا فيه قبل إلقاء القبض عليه .[5]

و عليه فقد صارت هذه الأماكن المقدسة مصدر جذب و التجاء روحي للمسيحيين ، باقتفاء أثار خطوات المسيح – عليه السلام – و حواريه ، كما تطلع الكثير منهم إلى الخلاص و الذي لا يتم حسب عقيدتهم إلا بزيارة الأماكن المقدسة ، و لذلك نمت شعيرة الحج و تطورت أكثر إثر اعتراف الإمبراطور قسطنطين بها ، و اعتناقه إياها ، فيما بعد ، [6] فعل الرغم من أن ليس فريضة دينية في المسيحية مثلما ما هو عليه في الإسلام ، إلا أن الجذب العاطفي نحو الأرض المقدسة أخذ يزداد و ينمو

[1]. يوحنا قورزيورغ ، وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة : سعيد عبد الله البيشاوي، ط 1 ، دار الشروق، عمان ، الأردن ، 1997 م ، ص 56 .

[2]. الإنجيل،الكتاب المقدس ، (د.ط)، دار الشر وق، بيروت، 1986م،الإصحاح 3 : 19 – 20 ، ص 118 .

[3]. يوحنا قورزيوع ، المرجع نفسه ، ص 93 – 94 .

[4].الجشيمانية : اشتقت من الكلمة العبرانية " جات شيمين " و معناها بستان معصرة الزيتون ، و هو مكان منفرد في سفح جبل الزيتون خارج أسوار القدس ، و هو المكان الذي صلى فيه يسوع ليلا قبيل إلقاء القبض عليه ، و بني هنا في القرن الرابع الميلادي معبد ، جورج يوست ، قاموس الكتاب المقدس ، المطبعة الأمريكانية، بيروت ، لبنان ،1901م ،ج 1 ، ص 215 – 216 .

[5]. ميخائيل مكسى إسكندر ، المرجع السابق ، ص 154 .

[6].. Michaud , J , F : Histoire des croisads , imprimerie nationale , paris , 1877 , p 15

لم يستهل القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – حتى صارت بيت المقدس و ما جاورها تحوي ما يناهز مائتي دير و نزل ضيافة لاستقبال الحجاج .[1]

غير أن المتفحص لأحداث الحملة الصليبية يرى ما قام به أولئك الحجاج الذين ذهبوا لأغرض إلى الشرق لأغراض مقدسة و لغفران الخطايا حاملين معهم شارة الصليب ليمنعوا اضطهاد المسيحيين الشرقيين ، نجدهم لم يتوانوا عن ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى غداة سقوط بيت المقدس في أيديهم شعبان 493 هـ / 1099 م ، بل قد فعلوا أكثر من ذلك عندما اقتحموا القسطنطينية سنة 601 هـ /1204 م و هو ذلك البلد المسيحي الآمن و لم يتورعوا عن نهب كنائسها و الاعتداء على أهليها المسيحيين و هم أخوانهم في الدين .[2]

[1]. محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص 25 .

[2]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أضواء على الحروب الصليبية ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة،1964، ص 10 ، عصمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة و مسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية ، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 92 –99 .

المبحث الثاني: حالة العالم الإسلامي والغرب المسيح قبيل الحروب الصليبية

المطلب الأول : أوضاع العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية

إن معرفة أحوال العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية يمكننا من فهم و تفسير سبب اختيار الصليبيين المشرق الإسلامي دون غيره لغزوه، و كذا اختيارهم لهذه الفترة الزمنية بالذات ، فلقد كانت حالة المجتمع الإسلامي قبيل نشوب الحروب الصليبية حالة يرثى لها من الفوضى و الانحلال ، فمصر الفاطمية كانت نهبا للثورات و المنازعات الداخلية ، و لم تكن تسكن فيها الفتنة حتى تنشب الأخرى ، كما كانت المجاعات و الأوبئة تنهك من قواها .

أما الخلافة العباسية فلم تكن أحسن حيث كانت تسيطر عليها الثورات ، كما كان يسودها حالة من الفتن المذهبية و الحوادث التي تملأ البلاد هولا و رعبا ، إضافة إلى الضعف الشديد الذي كان يتسم به الخلفاء الذين تولوا الحكم خلال هذه الفترة .

أيضا الدولة السلجوقية التي امتدت امتدادا عظيما في عهد عظماء سلاطينها لم تدم طويلا عظمتها وانقسم البيت السلجوقي على نفسه ،.

و لم يكن الوضع في المجتمع الإسلامي في إفريقيا و الأندلس أفضل ، بل اشتعلت الثورات الداخلية من ناحية ، و عم الفساد و الفتن من ناحية أخرى ، و هكذا انتهز الصليبيون الفرصة السانحة التي كان ينتظرونها منذ زمن بعيد ، و هكذا ما حان موعد الحروب الصليبية حتى كان المشرق الإسلامي في غاية الفوضى و الارتباك و التنازل .

كان الشرق الأدنى الإسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مقسم بين ثلاث قوى رئيسية هي الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر إما القوة الثالثة هي قوة الدولة البيزنطية.

فمن المعروف أن الدولة العباسية قد أصابها الضعف والانحلال وتمزقت أوصالها إذ لم يعد لها أي نفوذ على الولايات التابعة لها إلا النفوذ الروحي لكن حالها قد تغير نوعاً ما بسبب قدوم السلاجقة فقد استطاعوا التخلص من البويهيين ثم غدا السلاجقة جند الخلافة العباسية وحماتها و أداتها الحربية في التصدي لأعدائها من البيزنطيين والفاطميين .[1]

فقد استطاع السلاجقة التوغل في آسيا الصغرى وتمكن سليمان بن قتلمن (474-479هـ/ 1081-1086م) ،[2] من إقامة مملكة شملت أجزاء من أراضي آسيا الصغرى على حساب الإمبراطورية البيزنطية وبالتالي غدا ملك السلطان السلجوقي ملكشاه (465-485هـ/1072 - 1092) [3] ممتدا من إقليم ما وراء النهر إلى الأناضول والشام متضمن دمشق وحلب وإنطاكيا. [4]

لكن ملك السلاجقة لم يدوم فبعد موت ملشكاه عام 485هـ/1092م ومقتل وزيرة نظام الملك عام 485هـ/1092م تفككت عرى دولة السلاجقة ودب الصراع فيما بين أبناء البيت السلجوقي وقد نشب الصراع بين أبناء السلطان ملكشاه الأربعة وهم بركياروق[5] ومحمد وسنجر ومحمود.[6]

كما اشتد الصراع بين بركياروق الابن الأكبر لملكشاه وعمه تتش[1] الذي أدى في النهاية إلى مقتل تتش عام 488هـ/1095م والذي كان يرى بأحقيته بالسلطنة من ابن أخيه بركياروق[2].

---

[1]. مقبل فهمي توفيق ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، (د.م.ن)،(د.ت)، ص18.

[2]. هو ابن عم السلطان ملكشاه السلجوقي كان أميرا شجاعا فتح عدة بلاد و آخرها أنطاكيا قتل في حربه مع تتش عام 479هـ/1086م، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب ، مصر ، 1963، ج5، ص124.

1.هو أبو الفتح بن ألب رسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة توفي عام 485هـ/1092م، أبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (د.ت)، ج5، ص125؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق احمد أبو ملحم و آخرون، بيروت-1987م، ج12، ص151-153.

[4]. مقبل فهمي توفيق، المرجع السابق، ص19.

[5]. هو أبو المظفر ركن الدولة بن ملكشاة ولد عام 474هـ/1080م توفي عام 498هـ/1104م كانت مدة سلطنته اثنين عشر سنة، للمزيد ينظر. سبط ابن الجوزي، مرآة الأمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد الدكن، 1951م، ج8- ق1، ص13؛ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص223--224؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص110.

[6]. حول طبيعة الصراع بين أولاد ملشكاه الأربعة ينظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة- 1963، ص12؛ أمين حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد-1965م، ص114-118.

عندها انقسمت دولة السلاجقة إلى خمسة أجزاء متنازعة هي سلطنة سلاجقة فارس وعلى رأسها بركياروق الذي كان له السيطرة على بغداد وحلب وعلى رأسها رضوان ابن تتش[3] ودمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش[4] وسلطنة سلاجقة الروم والتي كانت عاصمتهم قونيه[5] وعلى رأسها قلج أرسلان بن سليمان قتلمش[6]

أما سنجر [7] فقد تولى سلطنة خراسان وما وراء النهر[8].

---

[1]. أبو سعد تتش بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب تاج الدولة قتل على أيدي ابن أخيه بركياروق عام 488هـ/1095م، ينظر ابن الأثير، المرجع السابق، ج8، ص175؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص96؛ ابن كثير، المرجع السابق، ج12، ص159.

[2]. للاطلاع على الصراع بين بركياروق و تتش ينظر ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة(ت:550هـ/1155م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت-1908م، ص123-124، 126، 128-129؛ابن الأثير التاريخ الباهر، ص9، الكامل، ج8، ص166-167، 171-175؛ ابن العديم، أبو القاسم كمال الدين عمر (ت:660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق-1968م، ج2، ص107-113، 117-119، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:697هـ/1297م)، مفرج الكروب في دولة بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر-1953م، ج1، ص22-23.

[3]. هو الأمير رضوان بن تتش بن ألب ارسلان الملقب فخر الملوك ولد عام 445هـ/1053 ملك حلب بعده مقتل أبيه تتش عام 488هـ/1095م وصف بأنه عبر محمود السيرة، توفي عام 507هـ/1113م، للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، المرجع السابق، ج8، ق1، ص111، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص205.

[4]. هو دقاق بن تتش بن ألب ارسلان أبو المظفر لقب شمس الملوك تولى أمر دمشق بعد مقتل أبيه تتش عام 488هـ/1095م توفي، عام 497هـ/1103م ، ينظر سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ق1، ص111؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج5، ص189.

[5]. من أعظم مدن الإسلام بالروم، ياقوت الحموي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج4، ص415.

[6]. هو قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم لقي حتفه غرقا في الخابور عندما انهزمت عساكره امام جيوش جاولي سقاوة صاحب الموصل عام 500هـ/1106م فقد عثر على جثته بعد أيام من غرقه ؛سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8،ق1، ص22؛ ابن الأثير المرجع السابق، ح8، ص.241 .

[7]. هو سنجر شاه بن السلطان ملكشاه السلطان أبو الحارث قيل ان اسمه احمد وسمي سنجر لانه ولد بسنجار في شهر رجب عام 479هـ/1086م ونشا في منطقة الاهواز واستوطن مدينة الروم توفي عام 552هـ/1157م، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص427-428؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص326-327.

[8]. سعيد عبد الفتاح عاشورر، المرجع السابق،ج1، ص114.

إن صاحبا دمشق وحلب رضوان و دقاق ابنا تتش لم يكونا على وفاق وحاول كل واحد منهما التخلص من الاخر ودخلت في خضم هذا الصراع أطراف عديدة محاولة تأييد ونصر طرف على الآخر كصاحب انطاكيا ياغي سيان وسكمان بن ارتق [1] صاحب النفوذ في الجزيرة والقدس وفلسطين وصاحب حمص حسين بن ملاعب [2] الملقب جناح الدولة [3] ويفهم من كلام ابن القلانسي كان لهذا الصراع بين الأخوين نتائج سيئة على الجبهة الإسلامية فلو كان الأخوان رضوان و دقاق قد اتفقنا لكانا قد لحقا بالعدو الدخيل شر هزيمة وكابنيه وبين االتوغل في آسيا وسورية الشمالية وبالتالي بدل من الاتحاد لمواجهة العدو المشترك (الصليبيين) قد حاول كل واحد الفتك بالاخر[4].

أما القوة الإسلامية الأخرى فهي الخلافة الفاطمية في مصر فقد نجح الفاطميون بعد جهود جبارة في الاستيلاء على بلاد الشام فلم يمضي عام واحد على دخول الفاطميين إلى مصر عام 358هـ/969م حتى أرسل قائد الفاطميين جوهر الصقلي [5] حملة إلى بلاد الشام عام 359هـ/970م بقيادة جعفر بن فلاح الكتاني بغية انتزاعها من سلطان الخلافة العباسية ولتامين حدود مصر من ناحية الشام وفعلا استطاع جعفر الاستيلاء على دمشق ودخولها عام 360هـ/971م بعد موقعتين حاسمتين الأولى في الرملة والثانية في طبرية وقد تم تنصيب الأمير سيف الدولة المنذر بن أمير الدولة النعمان عامر التنوحي على

[1]. هو سكمان بن ارتق التركماني جد ملوك الاراتقة وصف بكونه حازما داهية ذا رأي كثير الخير توفي عام 498هـ/1104م، بن الأثير ،المصدر السابق، ج8، ص227.

[2]. هو حسين بن ملاعب صاحب حمص وصف بكونه رجلا شجاعا باشر الحروب بنفسه قتل على يد الفداوين عام 495هـ/1101م، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ق1، ص30؛ ابن تغري بردي، ج5، ص1680-1690.

[3]. ابن القلانسي، المصدر السابق، ص134؛ ابن العديم، زبدة الحلب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2، ص124.

[4]. نفسه، ص 134 – 135 .

[4].هو ابن الحسن بن عبدالله الصقلي الكاتب مولى المعز لدين الله ولد عام 312هـ وتوفي عام 381هـ للمزيد، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص375-380، حسن، علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي(قائد المعز لدين الله الفاطمي)، القاهرة-1963م، ص9-17.

إقليم العرب بما فيه طرابلس، بيروت، صيدا وهكذا بسط الفاطميين نفوذهم على بلاد الشام عدا أنطاكيا التي كانت لاتزال تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية [1].

لكن نفوذ الدولة الفاطمية في بلاد الشام اخذ بالانكماش بعد عام 450هـ/ 1058م وذلك بسبب ما كانت تعانيه الدولة من أزمات اقتصادية وحربية وسياسية وقد حاول الفاطميون استعادة نفوذهم في الشام مرة أخرى بواسطة الحملات العسكرية فنجحوا في استعادة بعض المدن الساحلية حتى مدينة جبيل وهي المناطق التي ظلت بأيدهم حتى وصول طلائع الحملة الصليبية الأولى [2].

كانت الخلافة الفاطمية قبيل قدوم الحملة الصليبية الأولى تعاني من اضطرابات شديدة كادت تقضي عليها خاصة بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله عام 487هـ/1094م [3] وتولي ابنة الأصغر المستعلي بالله [4] الخلافة بفضل ما قام به الوزير

الأفضل بن بدر الجمالي [5] من إقصاء الابن الأكبر للخليفة المستنصر بالله المسمى نزار عن الخلافة رغم أحقيته وتولية أخيه الأصغر المستعلي بالله فهرب نزار إلى الإسكندرية فتابعه أهل الإسكندرية وتلقب بالمصطفى لدين الله ووز له افتكين التركي لكن الأفضل استطاع عام 488هـ/1095م أن يهزم

[1] . سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة-1959م، ص16-17.

[2]. سالم سيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شهاب ،بيروت،1970م، ص82؛عمران محمود سعيد، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، 1978م، ص24.

[3]. هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله ثامن الخلفاء الفاطميين ولد عام 421هـ/1030م تولى الخلافة عام 427هـ/1035م، توفي 487هـ/1094م، ينظر:المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق حلمي محمد احمد، مصر-1971م، ج2، ص184-334.

[4]. هو أبو القاسم احمد بن المستنصر بن الظاهر الملقب بالمستعلي ولد عام 469هـ/1576م بويع بالخلافة عام 487هـ/1094م توفي 495هـ/1001م، ابن خلكان،المصدر السابق، ج1، ص187؛ المقريزي، المصدر السابق، ج2 ،ص152؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص140.

[5]. هو أبو القاسم شاهنشاه الملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله عام 487هـ/1094م ومن بعدة لابنه المستعلي بالله قتل عام 1121/515م، ابن الصيرفي، ا لإشارة لمن نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، بغداد- د.ت، ص57-59؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص448-452.

نزار وافتكين ثم أخذهما أسرى وبعدها تخلص منهما وبقتل نزار انقسمت الدعوة الإسماعيلية إلى نزارية تطعن بخلافة المستعلي و الأخرى مستعلية ترى صحة خلافته وفي ذات الوقت لم يكن للمستعلي الذي تولى الخلافة وهو صغير السن أي أمر أو نهى مع الأفضل إذ كان الأخير هو صاحب السلطة الفعلية في مصر[1].

أما عن علاقة الفاطميين بالعباسيين فكان الصراع هو السمة الغالبة على تلك العلاقة فتارة تثير الدولة العباسية الخانقين على الدولة الفاطمية وتارة تخرج بمحاضر إنكار نسب الفاطميين والقدح فيهم كما حدث في محضرا الطعن التي حررتها الدولة العباسية عامي 402هـ/1005م و444هـ/1052م [2].

وبالمقابل فان الدولة الفاطمية قامت بدعم كثير من الحركات ضد الدولة العباسية ومثال على ذلك دعمها لحركة البساسيري[3] الذي تمكن من دخول بغداد عام 450هـ/1058م واقامة الخطبة للفاطميين ولم ينقذ الخلافة العباسية آنذاك إلا تدخل طغرل بك السلجوقي [4] .

---

[1]. ابن القلانسي، ص128-129، ابن حماد،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول محمد البدوي، الجزائر، (د.ت)، ص27؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص173؛ ابن ميسر، أخبار، مصر اعتناء هنري مارسية، القاهرة، 1919م، ، ج2، ص36-37؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص45.

[2]. للاطلاع على محضر القدح في نسب الفاطميين الذي كتب في عهد الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1031م) ينظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، دار صادر، بيروت لا.ت وج7، ص255-256، ابن الأثير، الكامل، ج6، ص125، ج7، ص267، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار المسماة بالخطط المقريزية، القاهرة لا.ت، ج1، ص349 أما المحضر الثاني والمتضمن القدح في نسب الفاطميين والذي كتب في عهد الخليفة العباسي القائم بالله (422-467هـ/1031-1075م)، ينظر، ابن الجوزي المنتظم، ج8، ص154-155، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص223؛ الخطط، ج1، ص356؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص53.

[3]. هو أبو الحارث ارسلان بن عبد الله قائد جند الاتراك في بغداد كان من مماليك بهاء الدولة البويهي في مدينة بسا من بلاد فأس تدرج في مناصب الدولة فحظى بمكانة رفيعة عند الخليفة القائم بأمر الله العباسي حتى غدا الخليفة لا يقطع أمرا إلا بمشورته بعدها تمرد على الخليفة و دعى الى الفاطميين، ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد، (د.ط)، ج1، ص149-150؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص192.

[4]. مؤيد الدين الشيرازي، هبة الله(ت:470هـ/ 1077م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق، محمد كامل حسين، مصر-1949م، ص182؛ ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن الشهير بذي النسبين (ت:633هـ/1235م)؛ النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد- 1946م، ص119.

إن هذه الخلافات والانقسامات جاءت على حساب وحدة الجبهة الإسلامية سيما على حساب تماسك المسلمين في الشرق الأدنى الأمر الذي جعل الأجواء ممهدة للصليبيين لغزو الشام في سهولة والاستقرار فيه ردحاً من الزمن فقد وصف ابن القلانسي الوضع قائلا:"...وفي هذه السنة [عام 495هـ] وردت الأخبار بما أهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في أموالهم بالخلف والمحاربة..." [1].

أما القوة البيزنطية وهي القوة الثالثة التي كانت تحكم الشرق الأدنى الإسلامي فكانت قد اجتازت تغيرات بالغة الأهمية قبيل الحروب الصليبية أثرت في تطور سير الأحداث في الشرق الأدنى الإسلامي فبعد أن انتصر السلطان عضد الدين ألب أرسلان (455-464هـ/1063-1071م) على تلك القوات التي يقودها الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في موقعة ملاذ كرد عام463هـ/1071م كانت بمثابة الكارثة العظمى والزلزال المدمر على الإمبراطورية البيزنطية ولقد نجم عن انتصار السلاجقة ان استولى السلاجقة بقيادة سليمان بن قتلمش على معظم أراضي آسيا الصغرى واخذ الخطر السلجوقي يحدق بالعاصمة البيزنطية وبالتالي نرى انه عندما تولى أمر الإمبراطورية الكسيوسكومنين(473-512هـ/1081-1118م) لم يبقى لها من الأراضي في آسيا الصغرى سوى سواحل البحر الأسود وبعض المدن الداخلية المتناثرة التي فقدت صلتها الى حد كبير بالحكومة المركزية في القسطنطينية لذا جاءت الحروب الصليبية لتمثل مصلحة مشتركة بين البيزنطيين والغرب المسيحي فمنذ بداية الإعداد للدعوة للحروب الصليبية ضد المسلمين اشتركت الدولة البيزنطية في المجمع الديني الذي عقد في شمال ايطاليا في مدينة بياكنزا عام 488هـ/1095 ولم يكن هذا الاشتراك البيزنطي في ذلك المجمع إلا لطلب معونة البابا للدولة البيزنطية ضد السلاجقة زعما من الإمبراطور بان السلاجقة يهددون المسيحية جميعا ولا يتوقف تهديدهم على الدولة البيزنطية وقد اقتنع البابا أوربان الثاني بدعوى البيزنطيين وان الحاجة ماسة لإجراء ضد الحروب [2].

[1]. ابن القلانسي، المصدر السابق، ص134-135

[2]. مقبل فهمي توفيق، المرجع السابق، ص21.

تلك كانت أحوال القوى السياسية في الشرق الأدنى الإسلامي قبيل قدوم الصليبيين فالصليبيون لم يواجهوا جيشا إسلاميا موحدا بل كانوا يواجهون قوى متفرقة.

المطلب الثاني :أوضاع الغرب المسيحي قبيل الحروب الصليبية

لا يمكن لمن يريد التأريخ لحالة أوربا عشية الحروب الصليبية أن يتجاهل ما عرف بالصحوة الكبرى منذ القرن الثاني عشر و استمرت بعد ذلك حتى نبعت منها النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر ،[1] و قد أخذت هذه النهضة أشكالا و أبعادا دينية تمثلت في إصلاح الكنيسة و معالجة المشاكل التي كانت تعاني منها آنذاك و أهمها السيمونية و زواج رجال الدين و التقليد العلماني ، و المقصود بالتقليد العلماني هو الصراع القائم الذي نجم بين البابوية و الإمبراطورية و حشد كل منهما كل طاقته للتغلب على الطرف الآخر .[2]

على أن الكنيسة خرجت ظافرة من هذا الصراع ظافرة من هذا الصراع ، و شعرت الكنيسة بقوة جبارة كان لا بد من تفجيرها و استنفاذها ، و لما كان من المتعذر استنفاذ هذه الطاقة محليا كان لابد من البحث عن متنفس خارجي ، لتوجيه قدر من الطاقة إليه ، وعندئذ ظهرت فكرة الحروب الصليبية من أجل أن تفسح المجال للغرب الأوربي و توجد له ميدانا واسعا يستغل فيه نشاطه المكبوت و حماسته الكامنة .[3]

[1]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 19 .

[2]. نفسه ، ص 20 .

[3]. علي سعود عطية ، تاريخ الحروب الصليبية ، الشركة العربية للتسويق و التوريدات ، ط 1 ، القاهرة ، ص .....

المبحث الثالث: الحروب الصليبية ودوافعها

المطلب الأول : ماهية الحروب الصليبية

هو الاسم الذي أطلق على سلسلة الحروب الصليبية[1] التي شنها مسيحيو غرب أوربا على الشرق الإسلامي بين عامي (489 – 690 هـ / 1095 – 1291 م) على الأرض المقدسة و انتزاعها من أيدي المسلمين .[2]

و هناك من عرفها بتعريفات أخرى ، حيث عرفها محمد عبد الله عدنان قائلا :" ...إنها صراع ديني بين الإسلام و المسيحية منذ بداية تحرير الشام و المعارك التي دارت في بلاد الفرنجة بعد فتح الأندلس ...".[3]

لكن ما أصطلح عليه باسم " الحروب الصليبية " فمعناها الاصطلاحي :هي تلك الحملات التي شنها مسيحيو الغرب على العالم إسلامي خاصة بلاد الشام و الأناضول و مصر و تونس لاستئصال

[1]على امتداد قرنين من الزمان زحفت على الدولة العربية الإسلامية ثمان حملات صليبية جهزها الغرب الأوربي أربع منها اتجهت الى بلاد الشام هي الحملة الصليبية الأولى(490-493هـ/1096-1099م) بقيادة جودفري دويوبون وبلدوين ويوهيمند وريمون وتانكرد والثانية(524-544هـ/1147-1149م) بقيادة ملك ألمانيا كونراد وملك فرنسا لويس السابع والثالثة(585-588هـ-1189-1192م) بقيادة فريدريك باربروس إمبراطور المانيا وملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد وفليب أغسطس ملك فرنسا والسادسة(626-627هـ/1228-1229م) بقيادة فريدريك الثاني واثنان على مصر هي الخامسة(616-618هـ/1219-1221م) بقيادة ملك بيت القدس جاي دي بربان و أندريا الثاني ملك المجر والسابعة(646-652هـ/1248-1254م) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والرابعة احتلت القسطنطينية(599-601هـ/1202-1204م) بقيادة بلدوين التاسع كونت الفلاندر أما الحملة الثامنة(666-669هـ/1267-1270م) بقيادة لويس التاسع ضد تونس وعدد من الحملات الصغيرة فلم تحل سنة واحدة من سيل المسلحين المتمردين على الدولة العربية الإسلامية، ينظر: العابد، صالح الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها المهدة؛ مجلة المورد، العدد4-مج 16، بغداد- 1987م، ص5؛ عمارة، محمد، دراسات في الوعي بالتاريخ، دار الوحدة (د.ت)، ص62.

2 . The new Encyclopedia Britannica, U.S.A 1951, Vol, 6, P,771.

[3]. محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط4، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص163؛ الطيار هيفاء عاصم محمد، دور العراق القومي في الدفاع عن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2001م، ص46.

شأفة الإسلام و المسلمين و استخلاص بيت المقدس و تحرير قبر المسيح ما بين عامي (489 -690 هـ /1095 -1291 م).[1]

اتخذت الحروب الصليبية تسميتها من الصليب إذ كان المشاركون فيها يخيطون على ألبستهم عند الصدر علامة الصليب من قماش أحمر دلالة على أن الدين أحد أسبابها و رمزا لانتزاع الأرض المقدسة من أيدي العرب.[2]

إذ أن مصطلح الحروب الصليبية لم يستخدم من قبل معاصري تلك الحروب ، ففي العصور الوسطى كان يشار إلى تلك الحروب بتسميات عدة منها : الطريق إلى الأرض المقدسة ، السير على درب الرب ، التجوال ، الارتحال ، و قد ظهر مصطلح الحروب الصليبية لأول مرة عام 1675 م إذ استخدمه المؤرخ الفرنسي " لويس ممبورا " في بحثه المسمى : تاريخ الحروب الصليبية.[3] و ظهر المصطلح بلغة الفرنسيون أولا ، ثم الأوربيون ثانيا جاء بتأثير الحركة الأدبية الفرنسية ، و

عن التطور الكبير الذي شهدنه اللغة الفرنسية ، و يعد تحول في الدراسات الصليبية حيث انتقل مصطلح Croisadeالفرنسي في القرن الثامن عشر إلى اللغات الأوربية على غرار الإسبانية Crozoda و الإنجليزية Crusade و الألمانية Kreuzzugon.[4]

[1]. . محمد ماهر حمادة ، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، ط 3 ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1977 م ، ج 5 ، ص 549 .

[2]. شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط3، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ج5، ص549.

[3]. المرجع نفسه، ص13

[4]. Kevin medeires:op, cit, p8-9 various Authors: Encylopadia Britnnica Dictionary, 11 edition, Gutenberg Book, London 2006, V5, P279.

أما العرب فقد عرفوا هذه الحروب باسم حروب الفرنجة أو غزوات الفرنجة و ذلك نظرا لغلبة الطابع الإفرنجي على معظم الحملة أو ربما لشهرة ملوكها ، و قد عرف العرب المسلمون الفرنجة على أنهم أكبر قوة سياسية مهيمنة على وسط و جنوب أوربا و عمموا هذه التسمية على كل الأوربيين ما عدا البيزنطيين الذين عرفوا بالروم [1] ، و يظهر ذلك جليا في الكتابات و المصادر العربية المعاصرة للحملة كابن القلانسي[2](ت 558 هـ /1160 م) و ابن الأثير (ت 630 هـ / 1234 م) [3]، و من تلاهم كأبي الفدا (ت 7320هـ / 1331 م) لم يستخدموا مصطلح الصليبيين أو الحملة الصليبية ، بل جميعهم وصفوا هذه الحروب بحركة الفرنجة أو حروب الفرنجة .[4]

و من أوجه المقارنة في استخدام المصطلح : " الصليبية " : هو أن المؤرخين العرب و قعوا فيما بعد في شباك الترجمة الحرفية للمصطلح من اللغات الأجنبية و استخدموا مصطلح صليبي و حملة صليبية عند تناولهم للظاهرة ، في حين درج أسلافهم على معالجتها تحت مصطلح حرب الفرنجة ، و وجه الخطورة في هذا المصطلح عندما يستخدم في اللغة العربية أنه يوحي فعلا بأن الحركة ترتبط بالصليب رمز المسيحية و لا نضعها في إطارها الصحيح باعتبارها مغامرة استيطانية ، و من ناحية أخرى فإن استخدام هذا المصطلح يظلم المسيحيين الشرقيين الذين دافعوا عن بيت المقدس ، و عانوا من و حشيته الفرنج و عدوانهم .

[1] . عبد الله بن أحمد المغلوب ، المرجع السابق ، ص 172 .

[2] . ابن القلانسي : هو أبو يعلا حمزة ابن رشد التميمي ، ولد بدمشق سنة 427 هـ / 1079 م ، اهتم بدراسة العلوم الدينية و الأدب ، و أمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء في دمشق و رئاسة لديوان الإنشاء جعلته مطلعا على كافة الأمور و الأحداث ، توفي عام 558 هـ / 1160 م ، ابن خلكان ، المرجع السابق ، ج 7 ، ص 144 ، الذهبي ، المرجع السابق ، ج 20 ، ص 361 .

[3] .ابن الأثير ،المصدر السابق، ج 10 ، ص 142 – 172 -173 .

[4] .أبي الفدا ،المصدر السابق، ج 1،ص 60 .

المطلب الثاني :دوافع الحروب الصليبية

هناك اختلاف لدى المؤرخين حول أسباب و دوافع الحروب الصليبية ، فهناك من يرى أن الدافع الديني هو الدافع الرئيسي لهذه الحروب معللا أن الدين كان هو السبب لهذه الحروب حينما استجابت الشعوب الأوربية لنداء البابا أوربان الثاني و الذي قال فيه :" ...إن من يلق مصرعه في المعركة تحلل من ذنوبه و غفر الله خطاياه ...[1] ن و في الحقيقة أن هذا الدافع لم يكن يخص المسلمين وحدهم ، بل شملت وحشية الصليبيين حتى السكان العرب المسيحيين مما جعل الدافع الديني ضعيفا .

و من هنا كانت هناك عدة دوافع وراء هذه الحروب منها :

1.الدافع الديني:

لقد حاول كثير من المؤرخين فهم الحملات والحروب الصليبية على أنها ذات دوافع وطبيعة دينية فان مسألة الحج التي اتخذتها البابوية وسيلة مؤثرة في أثارت المشاعر الدينية للأوربيين من خلاله تصوير الكنيسة لسوء معاملة الحجاج المسيحيين في الأراضي المقدسة في فلسطين من قبل المسلمين حسب ادعائهم فهذا باركر أحد مؤرخين الحروب الصليبية يقول:"...إن الحملة الصليبية الأولى مجرد قافلة حجيج شاكية السلاح تهدف تطهير طريق الحج وتثبيت مواطئ قدم للقادمين منهم...." .[2] كما أن احد المشاركين في هذه الحملة أطلق تسميه الحجاج على أولئك الصليبيين[3] ولا ننسى ما قام به قسم منهم في بث الدعوات حول اضطهاد المسلمين للمسيحيين في حياتهم في بيت المقدس .[4] لذا لعب البابا أوربان

[1] .الطيار ،المرجع السابق ، ص 58 ، لامب ، هارولد ، شعلة الإسلام ، قصة الحروب الصليبية ، ترجمة : محمود عبد الله يعقوب ، مراجعة : جمال الدين الشبال ، مطبعة الإرشاد ، بغداد – 1967 ، ص 2

[2]. ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لا.ت، ص81.

[3]. مؤلف مجهول، إعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر-1958م، ص31؛ يوسف، جوزيف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- 1989م، ص30.

[4] . ، ادوارد بروي، القرون الوسطى في تاريخ حضارات العالم، ترجمة داغر وآخرون، بيروت- 1965م، ج3، ص312.

الثاني بدور مهم في تحريض شعوب أوربا على ضروري تخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من أيدي المسلمون عندما القي خطابة في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من عام 489هـ/1095م في دير كلير مونت . [1] فالنصارى كان قي اعتقادهم أنهم آثمون إذا لم يقوموا باسترجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين ، و أنهم إذا ماتوا في سبيل ذلك الهدف فأنهم سيخلدون في النعيم الدائم ، و قد تجلى هذا الاعتقاد في تلك الخطبة لأوربان الثاني عند أوهم المسيحيين أن التوجه إلى القدس أمر إلهيا بقوله :"... أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة بحضور الشخص المخلص فيها و تلك المغارة المرعية المختصة يفادينا وذلك الجبل الذي عليه تألم المسيح و مات من أجلنا و ذلك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه ..."كله أضحت ميراث شعب غريب ...لست أنا و لكن الرب هو الذي يحثكم بكونكم قساوسة المسيح و أن تحضوا الناس من شتى الطبقات ...و فضلا أن المسيح يأمر بهذا أنه ستغفر ذنوب كل ألؤلئك الذاهبين بمقتضى السلطة التي أسبغها الرب علي ..." و لما تأكد البابا من حصول مرغوبه أردف خطابه بقوله :" ... انطلقوا على طريق الضريح المقدس و أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب و أحكموها بأنفسكم ..." ،[2] ثم أخرج علامة الفدا المقدس – صليب الخلاص – و قال :" ... احملوه على عواتقكم أو على صدوركم و ليشرف فوق أسلحتكم و رؤوسسناجقكم – أعلامك – ، و عند نهاية الخطبة مد الباب يده و منح الجميع البركة .[3]

لقد بالغ الصليبيون ذو النزعة الدينية في الرؤى التي يرونها فزعموا أنهم يشاهدون خيالات و أشباحا و أطيافا ، ففي كتابات رهبان الأديرة و الصوامع ظهر هناك اهتمام بالقدس السماوية على حساب القدس الأرضية ، و من أجل الوصول إلى القدس السماوية ، فإنه يقتضي من الصليبي أن يقوم

[1].رنيسمان، ستيفن، المرجع السابق، ج1، ص163.

[2]. فورشيه شارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، (د.م.ن)، (د.ت) ، ص 93 ..

[3]. الحريري ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط2، مطبعة النيل ، مصر ،1929، ص 21.

برحلة داخلية أو باطنية . و قد بلغ الأمر بهؤلاء و قادتهم أنهم في (1 سبتمبر 1098 م) طلبوا من البابا أن يأتي أو أن يظهر و " يفتح لهم باب القدسيين " .

الأمر الذي يعني أنهم كانوا يؤمنون بأنهم يقومون بنوعين من الحج الداخلي أو الباطني و الحج الخارجي أو الظاهري . [1]

أن الديانات السماوية لا تؤمن بالاعتداء ولا تشرعه ولا تقره بل أن هذه الديانات في حقيقتها ليست إلا ردود فعل ضد الظلم والتعسف والاعتداء عبر التاريخ البشري و الإسلام دين سماوي يدعو إلى الحب والعطف والتسامح فكيف يعتدي على المسيحيين الذين يدينون بدين سماوي آخر- يدعو إلى نفس المبادئ.

ولو كان حقيقة ما ذكر البابا أوربا أن جموع الصليبيين جاءوا لتحرر قبر السيد المسيح (عليه السلام)من أيدي المسلمين لكانوا قد تركوا جميع ممتلكات الأماكن المقدسة في أمان وعدم التعرض لها لكن على العكس قام أولئك القادمين من الغرب الأوربي بسرقة ما موجودة في تلك الأماكن المقدسة ومما يؤيد ذلك ما ذهب إليه اليافعي وابن تغري بردي بالقول:"أنهم اخذوا من الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف.." .[2]

أن كل هذا لا يعني انه لم يأت للمشاركة في هذه الحملة قسم من المتدينين من الناس بل أن عدد كبير منهم شارك فيها بهذا الوازع خاصة في أبناء الطبقات الفلاحية الذي كان الجهل مستشريا بينهم فغلفت الحقائق عنهم بلبوس ديني أحسن الباباوات و الأمراء والملوك حياكته .[3]

---

[1].Jonath Riley Smith , The First Crusade and the idea 11–of Crusading , p . 99 .

[2]. أبو محمد، عبدا لله بن اسعد بن علي بن سليمان، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يفيد من حوادث الزمان، بيروت-1390هـ، ح3، ص158؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ، ج5، ص149.

[3]. السامرائي، خليل وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي 132-656هـ/749-1258م، مطابع دار الكتاب والنشر، الموصل-1988م، ص261.

صفوة القول أن القائل بان الدافع الديني كان هو الدافع المسؤول الوحيد عن إثارة هذه الحروب وانه القوة الوحيدة الموجهة له لتخليص المسيحيون الشرقيون الذين يسكنون الأراضي المقدسة والغربيون الذين يأتون لزيارة قبر السيد المسيح(عليه السلام) من اضطهاد المسلمين لهم هو ادعاء باطل لا يتفق وروح الدين الإسلامي وطبيعة الدعوة إليه فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم)أن يدعو إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى:" فإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَ غُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ". [1]

وقد أثبتت إحداث التاريخ كيف أن الإسلام قد أحاط أهل الكتاب برعاية وعناية وكيف أن المسيحيين قد عاشوا في كنف الدولة العربية الإسلامية عيشه هادئة هانئة فهذا بطريق بيت المقدس ثيودسيوس يبعث برسالة عام 256هـ/869م إلى زميلة بطرق القسطنطينية اجناتيوس يثني فيه على المسلمين وكيف هم متسامحون وذا قلوب رحيمة وكيف أنهم سمحوا للمسيحيين ببناء مزيدا من الكنائس وان المسيحيين يمارسون طقوسهم الكنسية بحرية فالمسلمون قوم عادلون ولم يلقى منهم المسيحيون أي أذى أو تعنت .[2]

2.الدافع الاقتصادي:

عد سعيد عبد الفتاح عاشور الحروب الصليبية أول تجربة من الاستعمار الغربي قامت به الأمم الأوربية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق .[3]

أن الكثير من المشاركين في هذه الحروب قد شاركوا بها لا من اجل خدمة الصليب وتخليص قبر السيد المسيح(عليه السلام) من أيدي المسلمين إنما شاركوا بها جرياً وراء المال والثروات التي يتمتع بها الشرق الإسلامي فكانوا يعتقدون أن نهر الفرات كان يفيض بالجواهر والأحجار الكريمة ونهر دجلة في تدفقه كان يحمل

[1].القرآن الكريم، سورة آل عمران: آية 20.

[2]. سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص29.

[3]. نفسه، ج1، ص37.

معه التوابل التي تشكل عنصرا مهما في حياة المجتمع الأوربي آنذاك لذا شارك بها كثير من الصليبيين من اجل استغلال موارد الشرق والمتاجرة بها والحصول على اكبر قدر ممكن من الثروات . [1]

أن الشعوب الأوربية كانت تعيش في نظم إقطاعية جائزة تركت الكثير من المساوي والآثار السلبية على الأوضاع المعاشية للفلاحين والعبيد في المجتمع الأوربي .[2]

أن الغرب الأوربي قد أصيب عام 487هـ/1094م بكوارث طبيعية متمثلة بالفيضانات المدمرة والأوبئة دفعت الكثير من الناس للهجرة من أراضيها فضلا عن الحروب المحلية بين الأمراء الإقطاعيين التي لم تنجح الكنيسة أو الملوك في إيقافها مما أدى إلى الإضرار بالتجارة وطبيعتها والزراعة وحقولها لذا جاءت الحروب الصليبية لتفتح أمام أولئك الجوعى من غرب أوربا بابا جديداً للهجرة وطريقاً للخلاص من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل أوطانهم .[3]لذا نرى أن الحملة الصليبية الأولى قد ضمت جموعاً غفيرة من الفقراء المساكين وطريدي القانون جميعهم كانوا يفكرون في بطونهم قبل أن يفكروا في دينهم.[4]

أن الحروب الصليبية لم تكن فرصة للجوعى فقط إنما كانت فرصة للتجار الأوربيين وخاصة تجار ايطاليا و جنوة و فينسيا التي كسدت تجارتهم بسبب الاضطرابات والمشاكل الاقتصادية فدفعهم إلى البحث عن أسواق ومصادر خارجية وخاصة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، [5] لذا فقد جرى تنسيق بين البابوية وبين الدويلات التجارية كايطاليا و جنوة و فينسيا وكذلك الأمراء الفر نج و

[1]. هـ-ي، سويتار، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة- 1957م، ص14- 41.

[2] . رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص170.

[3]. نفسه، ج1، ص170-171.

[4].سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص34-35.

[5]. الحميدة، سالم محمود، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-1990م، ج1، ص48.

الإمبراطور البيزنطي لوضع أساطيلهم في خدمة الحملات الصليبية إذن أن هذه الدول لم تكن مدفوعة إلى تقديم مساعداتهم للصليبيين بوازع ديني إنما جرت وراء مصالحها الاقتصادية ورأت في الحروب الصليبية فرصة طيبة يجب اقتناصها لتحقيق اكبر قسط من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا . [1]

لذا نرى انتوني ويست يقول:"...فكثير من الأشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعية لاحتشاد وجمع الأموال الكثيرة بل أن التعطش نحو اخذ وجمع الغنائم وحده كان يجذب الجيش إلى المحاربة..." .[2]

3.الدافع السياسي:

يعد الدافع السياسي من الدوافع المهمة في قيام الحروب الصليبية وان غالبية ملوك و أمراء الغرب الأوربي شاركوا في الحملات الصليبية يدفعهم حب الظهور وخدمة لمصالحهم السياسية فمن المعروف أن النظام الإقطاعي في أوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالفروسية والحرب وإظهار الشجاعة وان حياة السلم كانت تعني البطالة بالنسبة لمحاربين محترفين لا عمل لهم إلا القتال تدخلت البابوية ونادت بما يعرف((هدنة الله)) وهي خطر القتال في الأيام الأخيرة من الأسبوع والأعياد الرسمية لذا نجد أن الفرسان والمحاربين الذين لم يروا إلا خيراً من تلبية نداء البابا أوربان الثاني للحروب الصليبية فوجدوا في هذه الحروب مجالا واسعا لإظهار شجاعتهم والتعبير عن قدراتهم الحربية

بعض النظر عما في المشاركة في تلك الحروب الجديدة من سعي مشكور وذنب مغفور .[1] فضلا عن ذلك أن النظام الاجتماعي السائد في أوربا ارتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وانتقال الميراث إلى الابن

[1] . سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص35؛ العدوي، إبراهيم احمد، التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية و أبعاده الحضارية، ط8، المكتب الإسلامي، بيروت،2000، ص366.

[2] محمد سهيل طقوش، الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، شركة النبراس وفرانكلي، بغداد-1967م، ص34

الأكبر أن هذا النظام قد اوجد العديد من الأمراء المحرومين من السلطان فضلا عن عدم وجود أقطاعات لهم هذا مما جعل كثير من الأمراء ينخرطون في الحروب الصليبية لعل موافقتهم لكل ما تطلبه الكنيسة منهم بالاشتراك في هذه الحروب وتلبية نداء البابوية تجعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق تعويضا عما فاتهم في الغرب وهكذا اتفقت الأهواء والرغبات والمصالح الشخصية مع مصالح الكنيسة التي هددت أولئك القادة بان من يعصي أوامرها ورغباتها ستقوم بإصدار قرارات الحرمان من النعيم في الذاخرة ونيل طاعته في الدنيا . [2]

4.الدافع الاجتماعي:

تالف المجتمع الأوربي في العصور الوسطى من ثلاث طبقات هي طبقة رجال الدين من الكنسيين والديريين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان وطبقة الفلاحين الحاقنان ورقيق الأرض إذا كان التفاوت واضحا بين هذه الطبقات من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية والمصالح .[3]

أن الفلاحين عاشوا في غرب أوربا عيشة منحطة إذ استخدم الفلاح في أعمال زراعية و أعمال غير زراعية فقد استخدم في أعمال بناء الحصون والقلاع و إصلاح الجسور وغير ذلك [4] أمضى الفلاح حياته محروما من ابسط مبادئ الحرية الشخصية فبالإضافة إلى الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقه عليه

---

[1]. الحميدة، الحروب الصليبية، ج1، ص46؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص137؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص43.

[2].الحميدة سالم محمود، المرجع السابق، ج1، ص46؛رنسيمان، المرجع السابق، ج1، ص37،سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص42-43.

[3] . السامرائي و آخرون، المرجع السابق، ص258،سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص38.

[4].كوبلاند، ج.د، الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، المطبعة العالمية،القاهرة -1946م، ص22.

[1].سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص38-40، عبدا لله راغب حامد، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب-1983م، ص38.

أن يدفع أيضا ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنويا رمزا لعبوديته هذا فضلا عن الضرائب المفروضة على ماشيته وما تنتجه أرضه من مزروعات وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوربا تحيى حياة من الفاقة مليئة بالذل والهون لذا انخرط كثير منهم في الحروب الصليبية تخلصا من الفاقة والهون والذل فان ماتوا في الحرب كان الموت أحب إليهم من حياة الجوع والذل والعبودية وقد غفر لهم الرب ذنوبهم وان وصلوا إلى الأرض المقدسة سالمين فان حياتهم الجديدة ستكون بأي حال من الأحوال أحسن من حياتهم التي عاشوها في بلادهم الأصلية وهكذا لعبت الكنيسة دورها في حث هؤلاء على المشاركة في الحروب فان ماتوا سوف يتمتعون بالسعادة الأبدية في العالم الآخر وأنها وسيلة لتطهير النفس من الذنوب التي علقت بهم . [1]

و الواقع أن هؤلاء الفلاحين الذين كانوا يمثلون غالبية المجتمع عاشوا في غرب أوربا عيشة منحطة في ظل نظام الضيعة حين سخروا لخدمة و سد حاجة الطبقتين الأوليتين – النبلاء و رجال الدين – ، و أن معظم هؤلاء الفلاحين من الأقنان و رقيق الأرض ارتبطوا ارتباطا وراثيا بالأراضي فقضوا حياتهم محرومين من أبسط الحرية و كل ما يملكه القن يعتبر خاصا لسيده بمقتضى نظام الالتزامات الإقطاعية ، [2] وفي الوقت الذي كان الفلاحون يبحثون عن سبيل الخلاص والفرار من حياة الذل و الهوان و من جحيم الالتزامات و الخدمات الإقطاعية ، عملت الكنيسة ذاتها على تثبيت الوضع القائم ، وكانت حصنا روحيا لعموم طبقة الإقطاعيين بمطالبة الفلاحين التحلي بالصبر و الاستكانة للأسياد : أن النظم الأرضيتي و الإقطاعية ، هي من صنع الرب و أنه لا يمكن و لا يصح تغييرها ، كما وعدت المطيعين بالجنة و العصاة بالجحيم الأبدي بعد الموت . [3]

[2]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 38 -40 ، عبد الله راغب ،حامد ، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلليه الآداب – 1983 م ، ص 38 .

[3]. زابوروف ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986.

وفي ظل هذه الظروف الشاقة و المليئة بالذل و الهوان تعاظمت الميول الدينية في الريف الأوربي بانتشار الروح الزهدية و النسكية و التقشفية ، و صارت من السمات الاجتماعية التي ميزت الفئات السفلى ، خاصة بعد ما تواد لديها شعور إن ما لحق بها من بلايا طبيعية و اجتماعية هو عقاب من السماء ، وانه لا يمكن التخلص من العذابات اليومية إلا بالتوبة والتكفير عن الذنوب . [1]وقد وجد هذا التحرق في الدعوة الصليبية أثمن وسيلة و غاية للتخلص من اضطهاد الأسياد و حياة الفاقة ، و بخاصة إن الكنيسة قد دعتهم للمشاركة في الحرب المقدسة نظير ذلك أسرع ملبين النداء و ذهبوا إلى الشرق طمعا في حياة أفضل رغم الخطر و الخطوب

بناءا على ما تقدم تستنتج أن للحروب الصليبية دوافع عدة وفي ضوء تلك الدوافع تعد الحروب الصليبية ماهي إلا حركة كبرى انبثقت من الغرب الأوربي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على الدولة العربية الإسلامية بقصد امتلاكها وقد انبعثت هذه الحركة عن سوء الأوضاع الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي سادت أوربا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واتخذت من الدين ستاراً للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق فقد كان الشعور الديني والروحي هو الباعث الرئيسي الذي دفع بأكثر طبقات المجتمع الغربي الأوربي إلى الاشتراك في هذه الحروب ولكن إلى جانب ذلك كله كانت كل طبقة تتبع مبدأ ماديا مختلفا عن الأخرى فالأمراء والفرسان وجدوا في حب القتال والمغامرة فرصة لهم بالاشتراك في تلك الحروب فضلا عن أن الفرسان الذين لا أراضي لهم والأبناء الصغار من الأسر الإقطاعية ممن لاحق لهم في وراثة الاقتطاعات قد شاركوا في هذه الحروب يحدوهم الأمل في أن يحققوا لأنفسهم المكانة والأرض لتي لم يتمكنوا من تحقيقها في أوطانهم إما طبقة العامة فقد شاركت في الحروب الصليبية لتحقق لها وضعا أفضل من وضعها الذي تعيشه في أوطانها كما أن قسما قد وجدوا في الاشتراك بهذه الحروب فرصة للهروب من العدالة لأنهم قد ارتكبوا جرائم

[1].ارنست باركر،الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.ن ،ص 22.

وبالتالي فان الاشتراك في الحملات الصليبية سوف يعفيهم من جرائمهم إما المدن الايطالية فقد وجدت فرصتها في الاشتراك في الحروب الصليبية لحصولها على الأموال نتيجة توسع تجارتهم بين الشرق والغرب.[1]

1. ارنست باركر، المصدر نفسه، ص 22.

الفصل الثاني

نشأة الدولة الأيوبية

و صراع صلاح الدين ضد الصليبيين

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية

المبحث الثاني : صراع صلاح الدين ضد الصليبيين

المبحث الثالث : صلاح الدين بعد معركة حطين

الفصل الثاني: نشأة الدولة الأيوبية

المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية

المطلب الأول : نسب صلاح الدين الأيوبي ونشأته

أولاً: نسب صلاح الدين: ينتمي صلاح الدين إلى عائلة كردية، كريمة الأصل، عظيمة الشرف، وتنتسب هذه العائلة إلى قبيلة كردية تعد من أشراف الأكراد نسباً وعشيرة، وهذه العشيرة تعرف بالرّوادية،[1] وهي تنحدر من بلدة دوين الواقعة عند آخر حدود أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس في أرمينية وينتسب الأيوبيون إلى أيوب بن شادي، ويعتبرهم ابن الأثير أشرف الأكراد لأنهم لم يجر على أحد منهم رق أبدا،[2] كما أن والد صلاح الدين، نجم الدين أيوب، وعمه أسد الدين شيركوه، عندما قدما إلى العراق بلاد الشام لم يكونا من الرعاة وإنما كانا على درجة عالية من الخبرة في الشؤون السياسية والإدارية،[3] غير أن بعض الأيوبيين حاول أن ينكر أصلهم الكردي والالتصاق بالدم العربي عامة، وبنسل بني أمية خاصة ومهما كان أصل البيت الأيوبي، فإن ظهورهم على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي وضع منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حين تولى شادي، جدهم الأكبر، بعض الوظائف الإدارية في قلعة تكريت، التي كانت إقطاعاً لبهروز الخادم أحد أمراء السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه،وكانت تكريت، الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة شمالي سامراء، تتحكم في أغلب الطرق الرئيسية المارة بين العراق وبلاد الشام، وكان أغلب سكانها من الأكراد، وقد انتقل إليها شادي مع ابنيه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، وتدرج في المناصب الإدارية فيها حتى ولي وظيفة الشحنة، ولما توفي خلفه ابنه نجم الدين أيوب.4

---

[1]. ابن واصل، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبج القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ت)، ص 19.

[2]. المصدر نفسه، ص 119.

[3]. المقريزي، الخطط المقريزية، ج3، ص 404.

[4] . على محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى، 2008م ، ص 223.

وقد قام نجم الدين بخدمة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه " فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً وشهامة، فولاه قلعة تكريت، فقام في ولايتها أحسن قيام، وضبطها أكرم ضبط، وأجلى عن أرضها المفسدين وقطاع الطرق حتى عمرت أرضها وحسن حالها،[1] وكذلك يذكر أبو شامة بأن أسد الدين شيركوه كان من الأمراء المقدمين عند السلاجقة الذين اقطعوه إقطاعا كبيراً في تكريت وما حولها حتى إن إقطاعه كانت تقدر قيمته بحوالي تسعمائة دينار سنوياً،[2] وهو مبلغ كبير بمقياس ذلك العصر.

ثانياً: ولادة صلاح الدين: ولد صلاح الدين الأيوبي عام 532هـ/1137م في قلعة تكريت بلدة قديمة أقرب إلى بغداد منها إلى الموصل، وقد قامت في طرفها الأعلى قلعة حصينة راكبة على دجلة، بناها ملوك الفرس منذ القدم على حجر عظيم، وجعلوها مخازن للذخيرة، ومرصداً لمراقبة العدو، ثم افتتحها المسلمون في السنة السادسة عشرة من الهجرة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[3] ومن عجائب القدر أن ولادة صلاح الدين كانت في اليوم الذي أمر فيه "مجاهد الدين بهروز" وإلى بغداد نجم الدين أيوب وأخاه شيركوه بمغادرة مدينة تكريت لقتل شيركوه عم صلاح الدين أحد قواد القلعة، وذلك من أجل امرأة آذاها القائد في شرفها، فانتقم "شيركوه" للشرف والمروءة حين استغاثت به فقتله فخرج الرجلان يقصدان (الموصل) وقد حملا أسرتيهما، وفي رحل نجم الدين يوسف ابنه الطفل المولود صلاح ويذكر صاحب وفيات الأعيان " أن أيوب قد تشاءم بمولوده الجديد صلاح الدين، وقد هّم أيوب بقتل ولده عندما كان يصيح وهو طفل وهم خارجون من المدينة، ولكن أحد أتباعه حذره من هذه العمل قائلاً: يا مولاي، قد رأيت ما حدث عندك من الطيرة والتشاؤم بهذا الصبي، وأي شيء له من الذنب؟ وبم استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً، وهذا الذي جرى عليك قضاء من الله سبحانه وقدر، ثم ما يدريك أهذا الطفل يكون ملكاً عظيم الصيت، جليل المقدار، ولعل الله جاعل له شأناً، فاستبقه فهو طفل. ليس له ذنب ولا يعرف ما أنت فيه من الكدر والغّم.

[1]. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم زريق، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997، ج2، ص 252.

[2]. نفسه، ص 257.

[3]. ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج2، ص 494.

[1] ولقد أثرت هذه الكلمات في نفس أيوب وسرعان ما رجع إلى الحق، وثاب إلى الرشد، واتبع طريق الإسلام الصحيح.[2]

ثالثاً: نشأة صلاح الدين: هاجر الأخوان نجم الدين أيوب وشيركوه من بغداد إلى الموصل، حيث نزلا عند (عماد الدين زنكي) الذي رحب بالأخوين ترحيباً عظيماً، وأجرى عليهما المنح والعطايا وما هذا الترحيب والإكرام إلا مكافأة على موقفهما المخلص من إنقاذهما له من القتل أو الأسر ذلك لأن عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد حارب السلجوقية عند "تكريت" أيام كان "بهروز" والياً على بغداد من قبل السلجوقيين، وسبق أن ذكرنا أن نجم الدين أيوب، وشيركوه كانا قائمين على تكريت وقلعتهما من قبل بهروز، وكان من نتيجة حرب عماد الدين للسلجوقيين أن أنهزم جيشه أما جيش السلطان السلجوقي، وفي أثناء انسحابه ورجوعه إلى الموصل مّر بتكريت وأصبحت حياته هو وجيشه في يد نجم الدين أيوب والي تكريت يومئذ إن شاء أبقاهم أحياء، وإن شاء قتلهم، ففضل نجم الدين الإحسان على الإساءة فقام هو وأخوه شيركوه بمساعدة عماد الدين وسهلاً له أمر النجاة والسلامة حتى وصل إلى الموصل، فكان لهذه المعاملة الحسنة والموقف النبيل أكرم الأثر، وأحسن النتائج في بناء ملك أيوب، وإقامة مجد الإسلام على يد صلاح الدين،[3] ولما وصل الرجلان إلى الموصل لقيهما عماد الدين، كما ذكرنا بالترحاب وجازاهما على ما صنعا معه من الجميل له في تكريت، فأقطعهما أرضاً ليعيشا عنده معزَّزين مكرمين.[4]

وفي رحاب عماد الدين تطورت الأسرة الأيوبية، فقد أصبح نجم الدين وأخوه شيركوه من خيرة القادة، وقتل عماد الدين بعد ذلك وأصبح نور الدين صاحب اليد الطولي وكان ذلك بمساعدة الأيوبيين واستطاع أن يضم دمشق لملكه وفي دمشق ترعرع صلاح الدين وتلقى علومه الإسلامية ومارس فنون

[1]. أبو شامة، المصدر السابق، ص20.

[2]. نفسه، ص21.

[3]. عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، 21..

[4]. نفسه، ص 21.

الفروسية والصيد والرمي بالسهام وغيرهما من ضرورات البطولة،[1] وعندما فتح نور الدين محمود زنكي بعلبك سنة 534هـ ولي عليها نجم الدين أيوب إلا أن صاحب دمشق مجير الدين، قام بحصار نجم الدين أيوب في بعلبك، وكاتب نجم الدين نور الدين محمود، وسيف الدين غازي، وطلب منهما النجدة، فاشتغلا عنه، وبعد حصار طويل تم الصلح بين الطرفين على حال، وانتقل إلى دمشق وصار من كبار أمرائها،[2] وهكذا عاش صلاح الدين طفولته الأولى في بعلبك سنة (534هـ/1140م) وكان يشاهد ويسمع بين حين وآخر، اعتداء الصليبيين على البلاد الإسلامية، ولما قام الصليبيون بالهجوم على سهل البقاع المجاور لبعلبك سنة 546هـ تصدى لهم نجم الدين وأسد الدين شيركوه وهزمهما وأخذ منهم أسارى ،[3] وفي السنة نفسها التحق صلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين شيركوه،[4] وهزمهما وأخذ منهم أسارى وكان أسد الدين مرافقاً لنور الدين الذي تولى قيادة الزنكيين بعد مقتل والده، ويبدو أن نور الدين كان قد أدرك قدرات صلاح الدين العسكرية والإدارية، فقد ذكر أبو شامة أن صلاح الدين تقدم بين يدي نور الدين فقبله وأقطعه إقطاعا حسناً،[5] وعول عليه ونظر إليه، وقربه، وخصصه، ولم يزل يتقدم تقدما تبدو منه أسباب تقضي تقديمه إلى ما هو أعلى.[6] وكان نور الدين يكلفه بالذهاب إلى عمه لاستشارته في قضايا، تخص الدولة والمكوس، والضمانات، فقد كان نور الدين يهتم بمشاورة كبار قواده. وتسمى هذه الوظيفة لصلاح الدين في العصر الحديث كاتم الأسرار ضابط الركن الشخصي لنور الدين. وأما عن كيفية تبؤ صلاح الدين الأيوبي أعماله الرسمية فقد فصل لنا ابن الفرات ذلك بقوله: ولم يزل صلاح الدين في كنف والده حتى ترعرع، فلما تملك الملك العادل نور الدين دمشق لازم الأمير نجم الدين أيوب ولده يوسف بخدمته، ومنه تعلم صلاح الدين طريق الخير، وفعل المعروف والاجتهاد في أمور

[1]. أحمد الشلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959. ج5، ص 187.

[2]. ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص5.

[3]. أبو شامة، المصدر السابق، ج1، ص 48 .

[4]. نفسه، ص 48.

[5]. ابن شداد، المصدر السابق، ص 6.

[6].ابن قاضي شهبة، الكواكب تادرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971، ص 43

الجهاد حتى ظهر للسير مع عمه أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية، ولم يزل أسد الدين آمراً ناهياً بالديار المصرية، وابن أخيه صلاح الدين يباشر الأمور بنفسه بكل عناية وحسن رأي وسياسة نقد،[1] وفي ولاية أبيه على بعلبك درس صلاح الدين العلوم الإسلامية، وفنون القتال، فضلاً عن فنون لعب الكرة والفروسية، وغيرها من فنون الطبقات الحاكمة إلى جانب براعته في لعبة الجوكان، وهي لعبة رياضية أصلها شرقي يمارسها اللاعبون وهم على ظهور الخيل التي ورثها عن أبيه، فضلاً عن اهتمامه بالعلوم الدينية،[2] ونستنتج من ذلك واستناداً إلى ما تقدم أن المرحلة التي عاش فيها صلاح الدين في الشام، وقبل أن يتبوأ منصباً عسكرياً مهما، كان يراقب التطورات السياسية والعسكرية الموجودة على الساحة الإسلامية وأبرزها الصراع مع الصليبيين واعتماد نور الدين على والده وعمه شيركوه وكان لابد أن يتأثر بهذه الأحداث وإن لم يشارك فيها، ولابد أيضاً أن ينمو لديه شعور يحتم عليه أن يعد نفسه للمستقبل ولاسيما للمناصب المتقدمة في الدولة،[3] ويمكن القول أن صلاح الدين نشأ وتربى بين أحضان أسرته، وأخذ عن أبيه نجم الدين براعته في السياسة واكتسب من عمه شيركوه شجاعته في الحروب، فنشأ متشبعاً بالدهاء السياسي والروح الحربية، كما تعلم علوم عصره فحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث، وتتلمذ على أيدي كبار العلماء وأساتذة منطقة الشام والجزيرة منهم الشيخ قطب الدين النيسابوري،[4] وقد تأثر صلاح الدين بالسلطان نور الدين محمود الذي قّدم النموذج الرائع للإخلاص المتفاني والشعور الحادّ بالمسؤولية الدينية وتعلم منه الإخلاص والفداء وكيف يناجي ربه في صلوات خاصة في محاربه يأخذ منها زاده القوي على الجهاد، وورث عنه قيادة المشروع الإسلامي وتعلم منه كيفية التصدي للمد الشيعي الرافضي، والغزو الصليبي.

[1]. السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، دار النهضة العربية،(د.ت)، ص 54.

[2]. محمد علي الصلابي ، المرجع السابق، ص83.

[3]. نفسه، ص 84.

[4]. عبلة المهتدي، القدس تاريخ و حضارة، ط1، دار نعمة، الأردن،2000، ص 182.

لقد درج صلاح الدين على طريق العز، ونشأ على الفروسية، وتدرب على الحرب والجهاد ومارس السياسة وتدبير الأمور.

وفي المدة التي قضاها في دمشق بعد استيلاء نور الدين بن عماد الدين زنكي عليها ظهرت شخصية صلاح الدين الفذة، فكان محل احترام وتقدير، بل كان له من الاعتبار والمكانة ما لابن حاكم دمشق نفسه، وقد ظهر أمام المجتمع بمظهر الشاب الهادئ المهذب المتدين، المتقد غيرة على الإسلام والمسلمين بما طبع في نفسه من أخلاق نور الدين الذي أنزله لديه منزلة خاصة، ومن المناصب التي أسندت إليه في دمشق – في عهد نور الدين – منصب رئاسة الشرطة وقد قام بهذا المنصب أحسن قيام، واستطاع أن يطهر دمشق من عبث اللصوص، ومن شرور المفسدين، فأعاد الأمن والاستقرار في ربوع الشام، وبات الناس يأمنون على أنفسهم وأموالهم وينعمون بنعمة الحياة الهادئة المطمئنة الكريمة، وأما المدة التي قضاها صلاح الدين في مصر فتعد من أعظم الأيام التي أظهرت بطولته الفائقة وحنكته الحربية النادرة، فقد لازم عمه أسد الدين شيركوه في حملاته الثلاثة على مصر، وكان من ضمن رجاله الأفذاذ، فقد أظهر البراعة العظيمة والعبقرية الفذة في فنون الحرب والقتال، فبتدبيره وذكائه وحسن تصرفه استطاع مع عمه أسدالدين أن يضم مصر إلى الدولة النورية بعد تخليص الشعب المصري العظيم من براثين الدولة الفاطمية الشيعية الرافضية، وتلخص مما تقدم أن صلاح الدين نشأ في السنين الأولى من طفولته، وفي العقد الثاني والثالث من شبابه على الفضائل الكريمة، والخصال الحميدة، واكتسب في مجالسته للأمراء، ومن مصاحبته للقادة العادات الأصيلة، والمهارة الحربية، والغيرة الإسلامية، والشجاعة المادية والأدبية وهذا ما أهله – باستحقاق وجدارة– [1]لأن يكون من الشخصيات الفذة التي هزت الدنيا وساهمت في صناعة حقبة مهمة من التاريخ الإسلامي العظيم.[2]

[1]. عبداللهعلوان،المرجعالسابق،ص 22.
[2]. محمدعليالصلابي،المرجعالسابق،ص 135.

المطلب الثاني : نشأة الدولة الأيوبية

يختلف المؤرخون حول تاريخ ابتداء الدولة الأيوبية ، فالبعض يجعله منذ تولى صلاح الدين الوزارة من الخليفة العاضد لدين الله سنة 564 هـ / 1169 م ، [1] و البعض الآخر يجعله مع إعادة الخطبة في مصر للخليفة العباسي التي تلاها وفاة العاضد لدين الله ، وانتهاء الخلافة الفاطمية 567 هـ / 1171 م ، صحيح أن سلطة صلاح الدين بدأت منذ توليه الوزارة ، ليدعمها بخطوة القضاء على الدولة الفاطمية ، لكنه من الناحية الشرعية كان لا يزال تابعا لسلطة نور الدين محمود الذي ما لبث أن توفي سنة 569 هـ / 1174 م ، و لذلك فإن سنة الوفاة هذه أعتبرت تاريخ لإبتداء الدولة الأيوبية التي اعترف بها الخليفة العباسي المستضئ بالله 570 هـ/ 1175 م .[2]

كانت اللبنة الأولى لبداية حكمهم ، أن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين و أخيه أسد الدين شيركوه رحلا إلى العراق و خدما مجاهد الدين بهروز ، الذي كانت له مكانة مرموقة لدى السلطان السلجوقي فوله حطم بغداد ، [3] و نظرا لعامل الصداقة بينهما اسند إليه حراسة قلعة تكريت [4] نجم الدين أيوب ، و لكن سرعان ما ساءت العلاقة بينهما ، و ذلك لأن نجم الدين ساعد الأتابك زنكي الذي انهزم على يد الخلفية المسترشد سنة 526 هـ / 1311 م ، فسهل له طريق العودة إلى الموصل بعد محاولة هذا الأخير الخروج عن السلطان السلجوقي . [5]

كانت تلك الحادثة سببا في نشوء العلاقات الودية بين الطرفين تعددت الروايات بعد ذلك نحو مغادرة نجم الدين و أخيه من تكريت ، حيث العلاقات الودية بين بهروز و الطرف الآخر سرعان ما

[1]. عصام شبارو ، السلاطين في المشرق العربي – الأيوبيون – ، دار النهضة للطباعة العربية و النشر و التوزيع، بيروت،1994،ص 139 .

[2]. المصدر نفسه ، ص 140 .

[3]. ابن تغر بردي ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 4 .

[4]. تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد و الموصل ، و هي إلى بغداد أقرب ،انظر : ياقوت الحمودي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 45

[5]. ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين شيال، دار الكتب و الوثائق القومية، 1975، ج 6 ، ص 4 .

انقلبت فوصلوا إلى الموصل سنة 532 هـ / 1138 م ، فأحسن عماد الدين زنكي وفدتهما و أسند حكم بعلبك إلى نجم الدين أيوب ،[1] و كانت ليلة هجرتهما نحو الموصل هي ليلة ميلاد صلاح الدين . [2]

قتل بعدها عماد الدين زنكي على قلعة جبل سنة 541 هـ / 1146 م ، ارسل محي الدين و أتابكته نعين الدين إلى نجم الدين ليسلم إليهما بعلبك على أن يعطوه إقطاعا جليلا في دمشق ، و أكمل ابن واصل كلامه بأن سبب تسليم نجم الدين حكم بعلبك بأنه راسل الأمير سيف الدين غازي [3] بن عماد الدين زنكي ليسلم إليه بعلبك و يرسل إليه من يحفظها ، فأبطئ عليه بسبب إنشغالاته ، و خاف نجم الدين أن تأخذ منه عنوة ، فسلمها إلى صاحب دمشق بسبب ذلك ، [4] و اتصل أسد الدين شيركوه بن شادي بخدمة نور الدين محمود و صار حتى اخفي أتباعه فأشتهر بشجاعته و إقدامه على الحرب ، فزاده إقطاعا فصارت له حمص و الرحبة و جعله مقدما عسكره . [5]

أما ظهور صلاح الدين على مسرح الأحداث فتولى الوزارة على مصر خلفا لعمه أسد الدين من طرف الخليفة العاضد ، الذي خلع عليه و لقبه بالملك الناصر ، أما عن كيفية ولايته يحدثنا ابن الأثير [6] أن جماعة من الأمراء النورية أرادوا التقدم على العساكر و ولاية الوزراء العاضدية بعده وهم عين الدولة

---

[1]. ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 4 .

[2]. المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م ، ج 1 ، ص 149 .

[3]. الملك سيف الدين غازي بن زنكي ، تملك الموصل بعد أبيه ، و أعتقل ألب أرسلان ، و كان عاقلا حازما ، شجاعا جوادا ، محبا لأهل الخير ، لم تطل مدته ، و عاش أربعين سنة ، و كان أحسن الملوك شكلا ، و كان له مئة رأس اكل يوم لسماطه ، و هو أول من ركب بالسناجق في الإقامة ، و ألزم الأمراء أن يركبوا بالسيف و الدبوس ...توفي سنة 544 هـ ، انظر : الذهبي : المصدر السابق، ، ج 20 ، ص 192 .

[4] . ابن واصل ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 8 – 9 .

[5]. أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق : إبراهيم الزريق ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1997 م ، ج 1 ، ص 405 .

[6]. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص17 .

البروقي ، و قطب الدين ، و نبال ، و سيف الدين المشطوب الهكاري ، [1] و خال صلاح الدين شهاب الدين محمد الحارمي ، و ساند ه الهكاري ، و استطاع أن يفتح معه المكشطوب و الحالمي و غيرهم ، إلا البارقي فأعرض قائلا : "أنا لا أخدم يوسف ، و عاد إلى نور الدين في الشام .

إذا فمنهم من أثبت ولاءه له ، و من هم عاد جراء توليه الخلافة إلى الشام ، و قد عرف العاضد بشجاعته و إقدامه و سداد رأيه متسارع إلى تقليد الوزارة . [2]

لقد كانت الوزارة بالنسبة لصلاح الدين في خدمة الملك العاضد بمثابة فترة إنتقالية في حياة هذا البطل لتألق نجمه ، و لكن أحداثا كثيرة مرت حالت دون أن يثبت قوته و استحقاقه ، لهذا المنصب ، و قد تأكد أنه من أجل إكمال ما بدأه عمه أسد الدين شيركوه و محاربة الخطر الخارجي المتمثل في الخطر الصليبي ، عليه أولا بحل المشاكل الداخلية من مؤامرات و فتن وغيرها ، و من بين أخطر المؤمرات التي تعرض غليها الجيش الفاطمي المكون من عدد كبير من الفرسان البيض معظمهم من الأرمن الذين خدموا الجيش الفاطمي منذ أيام الوزير البدر جمالي ، فبدأ صلاح في إنشاء جيشه الخاص و قام بإخراج طوائف السودان و الأرمن من القاهرة ، و من ثم اندلعت حركة التمرد بقيادة مؤتمن الخلافة ، [3] و بنى صلاح الدين سورا دائرا بالقاهرة و مصر و كلف بهاء الدين قراقوش بالديار المصرية . [4]

[1]. المشطوب : هو سيف الدين علي بن أحمد الهكاري ، و جده كان صاحب القلاع الهكارية ، المعروف بالمشطوب ، والد عماد الدين أحمد بن المشطوب . أنظر : ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 153 .

[2]. أبو شامة ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 115 . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص 145 . المقريزي، المصدر السابق ، ص 309، سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناصر صلاح الدين ، دار القومية للنشر و الطباعة ، مصر ، 1965 م ، ص67 .

[3]. قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص 28 – 29 .

[4]. الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1322 هـ ، ص 97 . الدواداري ، كنز الدرر و جامع الغرر ، (الدر المطلوب في اخبار بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مركز و دور للمخطوطات ، القاهرة ، 1972 م ، ج 7 ، ص 41 .

المبحث الثاني : صراع صلاح الدين ضد الصليبيين

المطلب الأول : الدور الأول من الصراع بين صلاح الدين الأيوبي و الصليبيين

مرت العلاقات بين صلاح الدين و الصليبيين حسب ما تناوله المؤرخون على مرحلتين أساسيتين هما : المرحلة الأولى التي امتدت من سنة 570 هـ - 582 هـ ، و تميزت هذه المرحلة بإن السلطان الناصر لم يكن متفرغا لمواجهة الصليبيين ، فلقد وجه كل طاقته و جهوده لحل المشاكل الداخلية و توحيد الجبهة الإسلامية تحت راية واحدة ، و إدخال القوى الإسلامية المبعثرة في الشام و الجزيرة تحت سيادته ، ليتمكن من مواجهة الصليبيين فيما بعد و من خلفه جبهة قوية متحدة .[1] و غلب على هذه المرحلة الطابع الدفاعي ، إما لحماية أملاك المسلمين من تعديات الفرنج ، و إما ليحول بينهم و بين مساعدة بعض القوى الإسلامية الانفصالية المتحالفة معهم ، إما لحفظ طرق تحركاته بين بلاد الشام و مصر،[2] و يضيف سعيد عبد الفتاح عاشور،[3] " ...أن هذه القوى الانفصالية أعمتها أطماعها ، فسعت للتحالف مع الصليبيين ضد صلاح الدين ، فكان لا بد لصلاح الدين من ترتيب أموره بالداخل استعدادا لمعاركه مع الصليبيين " .

أما الدور الثاني أو المرحلة الثانية ضد الصليبيين فتمتد ما بين سنة 583 هـ - 588 هـ ، و فيها كان صلاح الدين قد فرغ من توحيد الجبهة الإسلامية من الفرات إلى النيل ، فانصرف بكل طاقته إلى الجهاد و حقق الانتصارات الضخمة التي خلدت ذكره في التاريخ .

و تعتبر هذه المرحلة بمثابة المرحلة الدفاعية لصلاح الدين ، التي مهد من خلالها للحرب على الفرنج ، و كان في مستهل هذه المرحلة يدرك تماما مدى أهمية مصر لدى الغرب المسيحي ، و أنهم

---

[1]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1982،ص 47 ، أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 م ، ص 85. حمدي عبد المنعم حسين ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 م ، ص 61 .

[2]. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الأيوبين، ط2، دار النفائس، عمان، الأردن،(د.ت) ، ص 115 .

[3]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 47 .

يقدرون أهميتها مثله تماما ، فكانت محل أطماعهم ، فكان لا بد عليه من تحصينها لكي لا يقوم هؤلاء بحملة كبرى لغزوها ، فمهد إلى بناء سلسلة من التحصينات في ثغور مصر البحرية ، و كذلك في صحراء سيناء .[1]

طوق صلاح الدين كل من القاهرة و الفسطاط بسور واحد لتسهيل الدفاع عنهما لحماية واحدة ، و ادخل فيها القطائع و العسكر ، و بنى قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم ، فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقطم وانتهى به إلى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم ، و بنى قلعة على الجبل و أعطاها من حقها من أحكام العمل ، و قطع الخندق ، و هناك حفر ففي رأس الجبل بئرا ينزل فيه بالدرج المنحوتة في الجبل إلى المعين ،[2] أي بهدف تسهيل و تزويد الناس بالماء .

بنى صلاح الدين الصور على القاهرة و وصله بصور مصر من الخارج باب البحر إلى الكوم الأحمر ، و تولى عمارته الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، و أنشأ بجوار مسجد القدس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس .[3]

لم تقف جهود صلاح الدين في تحصين مصر عند مدينة القاهرة فقط فحرص على تطويق و حماية مختلف المدن التي تعد محطة أنظار الصليبيين و خاصة دمياط و الإسكندرية ، [4] فبنى صور دمياط و ذرعه أربعة ألاف و تسعمائة ذراعا ، و بنى أيضا برجا بها ،[5] و ذلك سنة 577 هـ / 1182 م ، و قام ببناء برجين و شدهما بسلسلة ضخمة ، و بعد ذلك قام ببناء خندق بالضبط سنة 588 هـ / 11192 م، كما قام أيضا بإنشاء أماكن للحراسة في شبه جزيرة سيناء ، و هي منطقة صحراوية تفصل

[1]. محمد سهيل طقوش المرجع السابق، ص 117.

[2]. العماد الأصفهاني ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، 1998، ص 119 .

[3]. المقريزي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 68 ، 69 .

[4].سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 116 .

[5]. المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ط1 ،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج 1 ، ص 187 .

بين مصر و مملكة بيت المقدس ، و سلسلة من القلاع أشهرها قلعة الجندي في سيناء ، على طريق أيلة و زودها بالصهاريج لحفظ الماء.[1]

و دخل السلطان الناصر قلعة إيلة ، و أنشأ مراكب مفصلة سار بها من القاهرة ، و أقام المراكب و أصلحها و طرحها في البحر ، و شحنها بالمقتلين و الأسلحة ، و عندما فتحها قتل بها من الفرنج ، و أسكن بها من ثقاته و زودهم بالعتاد من السلاح و غيره و عاد إلى القاهرة .[2]

و بهذه الإجراءات يكون صلاح الدين قد قام بتأمين الطرق و حماية تحركاته ، تميزت هذه الفترة بكثرة المعاهدات و التي كانت من العوامل المهمة التي ساعدته على بث التفرقة بين صفوف الصليبيين و إضعاف قواتهم ،[3] نرى أن صلاح الدين إتبع إستراتيجية لمواجهة الصليبيين ، من خلال زيادة الحصون و العمل على تحصين مناطق نفوذه ، سواء أكان ذلك من خلال زيادة قوته العسكرية ن أو من خلال بناء الحصون و القلاع التي شأنها أن تأمن له حماية أفضل و لمراقبة تحركات العدو .

أيضا فيما يخص المعاهدات و الأتفاقيات ، فهي على الأغلب من شأنها أن تؤثر على إمدادات العدو الصليبي ، كما أنها تؤثر على صفو الجبهة الإسلامية المتحدة على حد السواء ، و هنا دليل واضح على وعي صلاح الدين السياسي و مدى تفطنه لمختلف جوانب دولته حيث كان ملما بالأخطار الآتية سواء من الداخل أو الخارج ، و كل هذه الحنكة و الذكاء الديبلوماسي برز فيه منذ الصغر ، و صقله من خلال الحروب التي خاضها ، منذ احتكاكه الأول بالصليبيين أيام عماد الدين زنكي معززا خبرته في هذا المجال .

أما بالنسبة لأوضاع الصليبيين فبعد الصراع على من سيكون وريث العرش و من يتولى الوصاية على الملك الصغير لمملكة بيت المقدس بعد وفاة الملك الأول عموري ، و ذلك سنة 569 هـ / 1147

[1]. المقريزي، المصدر السابق، ج1 ، ص 601 .
[2]. نفسه ، ج 1 ، ص 521 .
[3]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 115 .

م ، و تولى ابنه المريض بالجذام – بلدوين الرابع – الذي لم يتعدى عمره الثالثة عشر ،[1] و بحكم مرضه غالبا ما كان يكلف أمراء لتسيير شؤون مملكته ، و بعد المؤامرات التي حيكت من قبل ريموند الثالث صاحب طرابلس ميلان دي بلانسي الذي تولى شؤون الحكم ، فانقلب ضده و قتله سنة 569 هـ / 1174 م ، و أصبح ريموند الثالث وصيا على مملكة بيت المقدس . [2]

انتهز هذا الأخير فرصة انشغال صلاح الدين في أمور دولته أي في بلاد الشام ، حيث ان أول ملتزم به هو إيقاف أو وضع حد لقوة صلاح الدين ، حيث كان يهدف لمنعه من ضم حلب .[3]

المطلب الثاني: معركة حطين و نتائجها

سارت الأحداث بسرعة لصالح الملك الناصر ، حيث انه في عز انهيار العدو الصليبي واصل تقدمه نحو النصر بإتجاه مملكة بيت المقدس ، فبعد انتصاره في عكا اتجه إلى صفورية لفتح مدينة طبرية ، و اختار الصليبيون صفورية أيضا مكانا لتجمعهم ، غير أن صلاح الدين قام بمهاجمة طبرية في خطة محكمة ليجبر الصليبيين لمغادرة موقعهم في صفورية ، [4] التي تميزت بأنها منطقة غنية بالماء ، وانقسم الصليبيون إلى رأين : الأول أن الملك جاي لم يشأ مغادرة المدينة و عدم المخاطرة بجيشه ، أما الثاني فكان لريموند الذي ألقى خطابا أوضح فيه مدى حماقته لأنه أراد السير و التخلي عن موقعه و المجازفة بالسير إلى تلال طبرية متحججا بأنها مدينته و هو المدافع عنها ، و استطاع ريموند إقناع الملك بمغادرة المكان باتجاه طبرية . [5]

[1]. وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسين حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 م ، ج 4 ، ص 196 .

[2]. المصدر نفسه ، ص 179 – 180 .

[3]. ستيفان رنسيمان ، المرجع السابق، ج 2 ، ص 466 .

[4]. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10، ص 146 .

[5]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 515 .

يضيف سهيل طقوش في هذا الصدد قائلا : " ... و بمغادرة الصليبيين موقعهم في صفورية تحقق النجاح الأول لسياسة صلاح الدين الحكيمة لأنها تشتهر بغزارة مياهها حتى في فصل الصيف ،[1] و قصد صلاح الدين إخراجهم من مكانهم لقتالهم ، و محاصرتهم في منطقة جافة شديدة الحر ، نفذ مخزونهم من الماء ، و لم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين فيها و بقوا على هذا الحال إلي يوم غد هو السبت ، و أخذ المسلمون يراقبونهم و قد تحمسوا لقتالهم . [2]

تقابل الطرفان عند قرون حطين يوم السبت 14 ربيع الآخر ، و دارت المعركة بينهم فقتل المسلمون فيها من الفرنج ، و ألقوا في الأرض نارا ، فاختلطت حرارة الدخان المنبعث من النار و حرارة الجو الشديد ، يقول ابن الأثير [3] : " ...اجتمعت عليهم العطش و حر الزمان و حر النار و الدخان و حر القتال..." [1] .

حاصر المسلمون من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين ، و أخذ المسلمون صليبهم الأعظم الذي يسمونه صليب صلبوت ، و يزعمون أنه نفس الصليب الذي صلب عليه سيدنا عيسى عليه السلام – حسب زعمهم – فكان سلبهم منهم علامة على اقتراب هلاكهم بالنسبة لهم. [4]

تأثر الجنود المشاة بالحر الشديد ، و قد قتل الكثير منهم و كانت جثثهم في كل مكان و منظر أفواههم المتورمة تثير الألم ، حتى أن منهم من توسلوا لقادة المسلمين أن يقتلوهم رحمة بهم ، فيما أبدى الخيالة شجاعة كبيرة و بسالة ، لكن عددهم أخذ في التضاؤل بعد الهجمات المتكررة من جانب المسلمين حتى أدركوا أنهم هالكون لا محالة . [5]

[1]. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 149 .
[2]. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 146 .
[3]. نفسه ، ج 10 ، ص 147 .
[4]. نفسه ، ج 10 ، ص 147 .
[5]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 519 .

وسط هذا الانتصار العظيم ، بات الناس تلك الليلة على فرحة غامرة و ارتفعت أصوات الجيوش بالحمد و الشكر و التكبير حتى صباح يوم الأحد ، فنزل الملك الناصر على طبرية و تسلم قلعتها وبقي بها حتى يوم الثلاثاء ، هرب ريموند الثالث عندما أدرك هلاك جيشه ، و وصل إلى طرابلس ، أما مقدمو الإسبتارية و الداوية فاختار السلطان صلاح قتلهم جميعا ، في حين أن أرناط ، و الملك غي جيفري و أخاه ، أستحضرهما السلطان ، و قدما شربة من الماء المثلج لهما و وفقا للعادات العربية ما من أسير أكل أو شرب عندهم ، فإن ذلك يعني الإبقاء على حياتهم ، و التفت صلاح الدين إرناط و ذكره بما فعله و أنه أقسم على قتله ، فقام بضرب عنقه بنفسه ، و أبقى على حياة الملك و قال له صلاح :"... ليس من عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ..." . [1]

نتائج معركة حطين :

نتج عن معركة حطين عدة نتائج تتمثل في الآتي :

1.تدمير الجيش الصليبي ، فقد نتج عن حطين ننقص كبير في الفرسان الصليبيين ، (فمن شاهد القتلى قال : ما هناك أسير ، ومن عاين الأسرى قال : ما هناك من قتيل) . [2]

2.فتح مدن الساحل ، فالسلطان صلاح الدين الأيوبي لم يجر وراء عواطفه ، و إنما كان يعلم أن الساحل هو الرئة التي يتنفس منها الصليبيون ، فقد شرع بالفتح و التحرير مدينة بعد أخرى فتحا سريعا متواصلا ، و لقد توج ذلك لأخلاق كريمة و تسامح عرف صلاح الدين بها . [3]

3.بعد انتصار حطين السبت 25 ربيع الآخر 583 هـ / 4 تموز 1187 م ، اتجه صلاح الدين الأيوبي إلى عكا و المدن الساحلية ليحرم الصليبيون إمدادات قواعدهم البحرية ، و حررت عكا صلحا

[1]. ابن شداد ،النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية –سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين شيال، ط2 ، ج 3 ، ص – 295 – 297 .

[2]. أبو شامة، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 78 .

[3] . سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 811 .

، و حررت الناصرة و القيسارية و حيفا و صفورية و شقيف و العفولة و الطور و يافا و تبنين و صرفند و صيدا و بيروت و الرملة و يبنا و الدروم و غزة و النطرون و بيت جبرين و عسقلان و لم يبق أمام صلاح الدين داخل فلسطين إلا بيت المقدس ، فاتجه إليها ، و تصرف تصرفا كريما حين سمح بخروج النساء و الأطفال من المدينة آمنين تحت حراسة جنده ، و في يوم الجمعة 27 رجب 583 هـ / 1187 م ، دخل صلاح الدين القدس في ليلة الإسراء و المعراج ، و لم يهدم كنيسة ، و أما اليتامى و الشيوخ و الأرامل من الصليبيين فقد منحهم صلاح الدين مساعدات مالية من ماله الخاص . [1]

هناك عدة أسباب كانت وراء الجيش الأيوبي في الاستيلاء على تلك المدن خلال مرحلة زمنية محدودة نسبيا ، فإلى جانب الكفاءة الحربية للأيوبيين ، هناك ضعف في القوة البشرية المدافعة عنها نظرا لاشتراك أكبر عدد منهم في أحداث معركة حطين ، كما لا نغفل عن عنصر فعال آخر إذ أن الجانب الأخلاقي الذي عرف عن السلطان الأيوبي ، و إدراك الصلبين انه لا يتراجع عن آي وعد قطعه على نفسه حتى لأعدائه ، جعل البعض يفضل الاستسلام عن الاستمرار في المقاومة وما تعنيه من ويلات الحصار وخاصة أن الجيش الأيوبي كان قد حقق خبرة حربية عريضة في مثل تلك العمليات من قبل [2]، بالإضافة إلى تلك الأسباب ، أن الانتصار في معركة حطين أشعل في نفوس المسلمين حماس شديد فارتفعت روحهم المعنوية وتملكتهم رغبة قوية نحو إسقاط اكبر قدر ممكن من الأملاك الإسلامية .

المطلب الثالث: تعامل المسلمين مع الصليبيين بعد تحرير بيت المقدس

بعد أن وصل صلاح الدين إلى القدس في يوم الأحد الخامس عشر من رجب 583هـ / 1187م، ونزل بعسكره في الجانب الغربي وكان مزودا بما يزيد عن ستين ألف مقاتل من الخيالة و الرجال، و أخذ السلطان صلاح يهاجم العدو، الذي كان في منتهى الحصانة، بقي السلطان الناصر خمسة أيام يطوف حول البلد، و رأى أن يحول بعسكره حول باب العمود و كنيسة صهيون في عشرين

[1]. أبو خليل شوقي ، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، ص 86 .

[2]. عوض محمد مؤنس ، صلاح الدين الأيوبي انتصارات و انكسارات،جامعة الشارقة، 2019، ص 83 -84 .

من رجب و أخذ ينصب المجانيق عليها،[1] أبدى كل من الطرفين بسالة في الحرب حيث أنهما إقتتلا بالمجانيق أشد القتال، لأنهم يرون في حماية القدس واجبا دينيا و فرضا لا يحتاج فيه إلى باعث سلطاني، بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون.[2]

أحدث المسلمون ثغرة كبيرة في السور و دخلوا منها، فلما أدرك الفرنج أن نهايتهم قد إقتربت، اتفقوا غلى طلب الأمان، هذا و قد تم اقناع باليان بعدم جدوى القتال من طرف البطريك، و أرسلوا وفدا لصلاح و اشترطوا إحترام المدينة من الصليبيين و السماح لمن يريد المغادرة، لكن السلطان رفض هذه المرة و قال:" لا أفعلوا بكم كم فعلتم بأهله حينما ملكتموه سنة إحدى و تسعين و أربعمئة من القتل السيئ، و جزاء السيئة بمثلها".[3]

رجعت الرسل إلى الملك خائبين محرومين، فأرسل باليان، و طلب الأمان لنفسه و أحضر عند السلطان و لم يجبه، و بعدها اتفقوا على بذل الأمان للفرنج بعد أن استشار صلاح الدين أصحابه استقر رأيه على أن:

- يأخذ من الرجل عشرة دنانير سوى كان غنيا أو فقيرا
- يزن الطفل من الذكور و البنات دينارين.
- أن تزن المرأة خمسة دنانير.
- اشترط السلطان أن لا ينقضي مدة الأربعين يوما، فمن أداها قبل المدة فقد نجا، و من انقضت عنه المدة و فاته الأوان المحدد في الاتفاق صار مملوكا، فبذل باليان على الفقراء ثلاثين ألفا دينارا، و بهذا سلمت المدينة يوم الجمعة السابع و العشرين من رجب 583هـ /1187م من نفس السنة.[4]

[1]. ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص 212.
[2]. نفسه، ص 212.
[3]. ابن الأثير، المصر السابق، ج10، ص 155.
[4].ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 156.

أظهر السلطان سماحة الدين الإسلامي في أفعاله و أقواله، حتى أضحى يمدح من طرف المؤرخين الأجانب، يقول رنسيمان[1]:"كان المنتصرون أهل استقامة و إحسان، حيث لم ينهب منهم أحد و لم يصب شخص واحد، وبأمر صلاح الدين طاف الحراس في الشوارع و الأبواب لمراقبة و إيقاف الاعتداء على المسيحيين، في حين أن الأمراء لم تهمهم سوى أنفسهم، فقد افتدى البطريك نفسه بعشرة دنانير، و قد صدم المسلمون برؤيته تاركا المدينة مع هيئة الكنيسة مثقلا بالذهب الذي كان يحمله معه، ومن مظاهر الرأفة و التسامح أيضا و عند خروج المسيحيين في صفين، الأول يضم من استطاع دفع الجزية أو من دفعها عنهم بالين، و الثاني من لم يستطع دفعها فكانوا يساقون إلى الرق، فما كان من العادل أخو صلاح إلا أن يطلب إطلاق سراح ألف أسير من الفقراء على سبيل المكافأة له على خدماته فأجابه السلطان و قبل بذلك. ما فعله صلاح الدين وأمراؤه لم يكن ليفعله أي قائد في مثل هذه الظروف و في عزة انتصاراته، فلم يكن مجرد انتصار فحسب بل كان يوما مشهودا بالنسبة لهم، مع ذلك طبق سياسة العفو عند المقدرة، وهي من الأخلاق العظيمة في الإسلام، فالعفو عن المسيئ عند المقدرة على معاقبته من المكارم التي لا تتحقق إلا لدى الإنسان المؤمن، و دعا إليه القرآن لقوله سبحانه و تعالى:(فاصفح الصفح الجميل) [2] و يذكرني هذا الخلق النبيل بحادثة فتح مكة في عهد الرسول صلى الله عيه وسلم عندما قال:" اذهبوا فأنتم الطلقاء"[3] لأهل مكة، و الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم و السير على منهاج القرآن الكريم و مكارم الأخلاق كم فعل هذا القائد البطل، لا يفعله إلا من وضع نصب عينيه الآخرة و إعلاء رآية الإسلام و ترغيبه للخلق أجمعين.

لم يكتف السلطان بذلك فحسب بل حتى أنه انفق من ماله الخاص لإطلاق سراح كل اليتامى، وعتق كل رجل و امرأة عجوز، فكان عطفه و رحمته ناصعة البياض على نحو غريب، إزاء ما تم ارتكابه

[1]. ابن شداد، المصدر السابق، ج2 ، ص 254.
[2]. القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 85.
[3]. البيهقي، السنن الكبرى، ط1، مؤسسة جواد للطباعة و التصوير، بيروت، 1356هـ ، ج1، ص 18.

من طرف الغزاة الصليبيين،[1] و قد حث الكثير من أصدقاء صلاح الدين على تدمير كنيسة القبر المقدس، لكنه رفض ذلك بحكم أنهم يقدسون الموقع و ليس المبنى و أنهم يزاولون فيه الحج، وقد سمح للحجاج الفرنج بزيارتها بعد دفع رسم معين، و جاءت انتصارات صلاح الدين بالنسبة التي تدل على قوة الشرق و روحه، في قرني حطين، و على بوابات القدس، او انتقم لإهانة الحملة الصليبية الأولى ، و أظهر كيف يحتفل الشريف بانتصاره.[2]

[1]. رنسيمان ، المصدر السابق، ج 2، ص 524.
[2]. نفسه، ص 525.

المبحث الثالث: صلاح الدين بعد معركة حطين

المطلب الأول : معركة أرسوف (587هـ / 1191 م) و نتائجها :

نتناول بالدراسة معركة أرسوف التي جرت بين الجيش الأيوبي بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين ، و الجيش الصليبي بقيادة ريتشارد قلب الأسد في عام 587 هـ /1191 م .

الجدير بالذكر ، أنه على الرغم من أهمية معركة أرسوف فإنها لم تحض بالاهتمام الجدير بها من جانب الباحثين في دراسة عربية مستقلة باستثناء دراستها ضمن أحداث الحملة الصليبية الثالثة ومن ثم دعت الحاجة لدراستها من خلال الاعتماد على المصادر التاريخية و المصادر الصليبية المعاصرة .

من المعروف أن المسلمين بقيادة صلاح الدين تمكنوا من تحقيق انتصار حاسم على الصليبيين بمعركة حطين في عام 583 هـ / 1187 م مثل ما أوضحنا من قبل ، و كان رد الفعل الأوربي هو مقدم الحملة الصليبية الثالثة ، [1] بقيادة فريدي ريك باربروسا[2] إمبراطور ألمانيا 585 هـ - 618 هـ / 1189 م -1199 م الذي غرق و هو في طريقه للشام ، [3] ثم هناك ريتشارد الأول [4]الملقب بقلب الأسد ملك انجلترا و فليب أغسطس ملك فرنسا ، و قد تمكن الصليبيون من استعادة مدينة عكا الساحلية في عام 587 هـ / 1191 م ، و انتزاعها من قبضة المسلمين ، [5] و أن الصدام الحربي بين الطرفين في أرسوف قد حدث في اعقاب سقوط عكا في قبضة الصليبيين و كان هدفهم من وراء ذلك تكوين قاعدة توفر لهم إمكانية مهاجمة بيت المقدس .

---

[1]. سلامة جلال حسني ، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، دار الفاروق ، نابلس ، فلسطين ، 1998 م . ص.....

[2] .Otto of St. Blasion , The Third Crusade 1187 -1190 , From The Chronicle of Otto of St . Biasion , O , Thatcher m Source Book of ;edieval HISTORY , New York 1902 , PP . 529 – 535 .

[3]. غرق في نهر كيدنس من أنهار كيليكيا في آسيا الصغرى في 10 يونيو عام 1190 م .

[4]. ريتشارد قلب الأسد ، ملك إنجلترا خلال الأعوام 1189 م إلى 1199 م ، و هو أحد قادة الثلاثة للحملة الصليبية الثالثة ، عوض محمد مؤنس ، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية ، مكتبة الآداب، 2015،(د.م.ن)، ص 414 .

[5]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 171 .

في غمرة تلك الأحداث التاريخية ، وقعت أحداث معركة أرسوف [1]، في عام 587 هـ / 1191 م ، و سميت ارسوف في المصادر الجغرافية الأوربية في القرن الثاني عشر الميلادي الموافق للسادس الهجري بعدة أشكال ، فهي أحيانا أتسوف ، أو أزوتس ، أو أرسور ، أو تارسوف .[2]

أحداث المعركة :

وضع ريتشارد قلب الأسد خطة تقضي باسترداد المدن الواقعة على شاطئ فلسطين من عكا حتى عسقلان ، قبل أن يتوجه إلى الداخل ليسترد بيت المقدس ، فغادر عكا يوم الخميس في 29 رجب 578 هـ / 22 آب 1191م على رأس الجيش الصليبي متخذا الطريق الساحلي ، ليلقى جناحه الأيمن الحماية و التموين من الأسطول الصليبي ، و لم تكن الظروف سهلة ، فقد عانى الصليبيون من خراب المدن و القرى التي مروا بها ، ومضايقة المسلمين لهم [3]، و تمت مهاجمتهم بالسهام على نحو وصف بأنه (ما كان يحجب الشمس) ، وقتلوا و جرحوا من أعدائهم عددا كبيرا[4].

الواقع أن صلاح الدين لم يشأ أن يدع الجيش الصليبي يزحف بسلام ، و كان يخشى أن يتحرك ريتشارد قلب الأسد نحو عسقلان ليحتلها و يتخذ منها قاعدة يقطع بواسطتها طريق الاتصال بينه و بين بيت المقدس و مصر التي تمده بالقوة الضاربة ، إذ أن تلك المدينة احتلت أهمية استراتيجية كبيرة من خلال قربها من بيت المقدس حيث يمكن للصليبيين شن هجماتهم نحو المدينة المقدسة من عسقلان ، وكذلك لا نغفل ناحية اخرى ، و هي رغبة المسلمين في الثارلاخوانهم الذين سقطوا من افراد حامية عكا

[1]. مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية و يافا ،ياقوت الحموي ،المرجع السابق، ج 1 ، ص 115 .
[2]. عوض محمد مؤنس، المرجع السابق، ص 7 .
[3]. ابن شداد ، المصدر السابق،ص 263 .
[4]. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 9 ، 215 .

و الذين امر ريتشارد بضرب اعناقهم جميعا و خاصة ان الفارق الزمني كان قصيرا بين معركة عكا ، ومعركة ارسوف [1].

بعد ان استولى الصليبيون على حيفا التي أخلتها حاميتها الإسلامية ، استأنفوا زحفهم نحو قيسارية ، و لما اقتربوا منها كان الاشتباك بين الجيشين وشيك الوقوع ، تمتع المسلمون بميزة حرية الحركة في الوقت الذي حصر الصليبيون أنفسهم بينهم وبين البحر [2]، و حاول صلاح الدين استدراج الصليبيين إلى الداخل حتى ينحرفوا عن خيط سيرهم بمحاذاة الساحل ، فيفقدوا ميزة دعم الأسطول ، كما سبق و فعل في معركة حطين في عام 583 هـ/ 1187 م في إجبار عدوه على المسير إلى المكان المرسوم مستغلا في ذلك خبرته العسكرية ، إلى أن ريتشارد قلب الأسد الذي أتصف بالبراعة القتالية ، لم يقع في فخ صلاح الدين ،و حافظ على خط سيره ، و دعا رجاله إلى الحفاظ على النظام ، و ألا ينساقوا وراء الاستفزازات الإسلامية [3] .

ترجع الأسباب الكامنة من وراء مثل ذلك الموقف من جانب الملك الإنجليزي ، الرغبة في امتصاص فعاليات الهجوم الأيوبي إلى ان يصاب الجند الأيوبيين بالإجهاد و عندئذ يتم مواجهتهم بهجوم صليبي كاسح ، و أيضا الطبيعة الحذرة للصليبيين من خلال مواجهتهم الحربية مع المسلمين [4] .

استولى الصليبيون على قيسارية بعد أن خربها المسلمون ولم يستفيدوا منها بزاد او مال ، ثم واصلوا زحفهم حتى بلغوا مشارف ارسوف ، وتحركوا باتجاه غابتها ، و قرر صلاح الدين الذي سبق العدو الى الغابة ، ان يصطدم به في هذا المكان ، فعبا قواته استعدادا للمواجهة ، و حين علم ريتشارد

[1]. عوض محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي معركة أرسوف ،ط1، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية،القاهرة، مصر ،1997، ص 10 .

[2].Stevenson.W. The Crusaders in the East : Cambridge،1907: P. 276.

[3] .Oman،C.W.C. A History of the Art of war in the Middle Ages، London1924،. P.309.

[4]. عوض محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي ، ص 25 .

فلب الأسد بخطته تصرف على محورين ، الأول أرسل بطلب نجدة صليبية من عكا ، و الثاني حاول تسوية القضايا مع صلاح الدين بالطرق السلمية [1] .

من الممكن تعليل سبب الإقدام على التفاوض مع المسلمين من جانب الصليبيين على إعتبار الرغبة في كسب الوقت و إعادة تنظيم قواته .

الواضح أن صلاح الدين أيضا اراد أن يكسب الوقت حتى تصل قوات التركمان التي كان قد طلبها ، فتظاهر بقبول مبدأ التفاوض ، و أناب عنه أخاه العادل ، [2] الذي اجتمع بريتشارد قلب الأسد، لكن المفاوضات تعثرت بسبب تصلب ريتشارد في موقفه ، إذ أصر على أن يتنازل المسلمون عن الأماكن التي فتحوها في مملكة بيت المقدس ، فبادر العادل على الفور ، إلى قطع المفاوضات ، و لم يبق أمام الطرفين سوى القتال .[3]

الجدير بالذكر ، أن ذلك الاجتماع بين الجانبين قد وقع في 12 شعبان 586 هـ / 5 سبتمبر 1191 م ،[4] أي قبل خوض غمار المعركة أرسوف بيومين فقط ، و قد مثل آخر فرصة ممكنة من أجل التوصل إلى حل سلمي بين الجانبين .

وصلت في هذا الأثناء ، نجدات عسكرية إلى كل من الطرفين ، وبدأت المعركة في ضحى يوم السبت 14 شعبان 578 هـ / 7 سبتمبر عام 1191 م ، أحاط الفرسان المسلمون في بدايتها بالصليبيين و أوشكوا أن يقضوا عليهم ، لكن ريتشارد قلب الأسد ثبت في القتال ، و أعاد تنظيم

[1]. محمد سهيل طقوش ،المرجع السابق ، ص 190 .

[2]. الملك العادل : السلطان الكبير الملك العادل سيف الدين ابو الملوك كان أصغر من أخيه صلاح الدين بعامين ، نشأ في خدمة الملك نور الدين ، ثم شهد المغازي مع أخيه و كان ذا عقل و دهاء وشجاعة . الذهبي ، (ت 748 هـ / 1348 م) ، نزهة الفضلاء ، تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد حسن عقيل ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ص 1538 .

[3]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 273 – 275 .

[4] . نضير حسان سعداوي ، الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1961 م ، القاهرة ، ص 36 – 37 .

صفوف قواته بسرعة ، فمال ميزان المعركة إلى صالحه ، و لم تلبث صفوف المسلمين أن تداعت فتفرقوا و لاذوا بالفرار ، و حاول صلاح الدين في هذا الموقف الحرج أن يمنع رجاله من الفرار ، واستطاع أن يجمع حوله بعض الرجال ، و هو ينوي شن هجوم مضاد ، لكن المحاولة فشلت و لم يحل المساء حتى اضحى للجيش الصليبي السيطرة على ساحة القتال ، و استأنف سيره نحو الجنوب .[1]

يمكن تقسيم الصدام الحربي في ارسوف الى ثلاثة مراحل ، المرحلة الاولى وهي خاصة بتفوق الهجوم الايوبي ، والحاقه الخسائر بالصليبيين الذين اتخذوا جانب الدفاع ، اما المرحلة الثانية فهي الهجوم الصليبي المفاجئ ، والتحول من الدفاع الى الهجوم ، وفي المرحلة الثالثة وجدنا الانسحاب من جانب الجيش الايوبي الى غابة ارسوف ، ومحاولة القيادة الايوبية تدارك الموقف والصمود في وجه الصليبيين قدر المستطاع ، ومن الملاحظ ان المراحل الثلاث كانت متواصلة ومتعاقبة ولا انفصال بينهما [2].

نتائج المعركة:

نتج عن معركة ارسوف عدة نتائج تتمثل في الاتي:

_ هزيمة الجيش الايوبي ، كان حزن صلاح الدين كبير بحيث لم يقبل مواساة قاضي عسكره ، ومؤرخه ابن شداد ، وذلك بسبب مقتل بعض امرائه وكثيرا من جنده [3]، وقد عبر ابن شداد عن شعور صلاح الدين بانه كان في قلبه من الواقعة امر لا يعلمه الى الله والناس من جريح الجسد وجريح القلب [4].

_تعد معركة ارسوف اول معركة مكشوفة جرت بين المسلمين والصليبيين منذ معركة حطين .

_ لم يستثمر الصليبيون انتصارهم بمطاردة المسلمين في غابة ارسوف وهذا دليل على ان انتصارهم لم يكن حاسم .

---

[1]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 275 -277 . ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 10 ، ص98 – 99 .

[2]. محمد مؤنس عوض ، في الصراع الإسلامي ، ص 22 .

[3]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 277 .

[4]. المصدر نفسه ، ص 278 .

_اثبتت المعركة ان المد الاسلامي الذي قاده صلاح الدين والذي استمر في صالح المسلمين في بلاد الشام منذ عام 565هـ/1170م، بدا يتحول بعد معركة ارسوف ، ولمدة ستين عام ، لصالح الصليبيين [1].

اراد صلاح الدين الايوبي بعد المعركة ان يركز جهوده في الدفاع عن عسقلان إذ خشي ان يتحرك ريتشارد قلب الاسد اليها و يتخذها قاعدة تقطع طريق اتصالته مع مصر، فتوجه نحو الرملة وعقد فيها مجلس حربه ، واستشارهم فيها ، فخالفه امرائه في الراي و قالوا له :(ان اردت حفظها فدخل انت معنى او بعض اولادك الكبار ، والا فما يدخلها منا احد لئلا يصبنا ما اصاب اهل عكا)[2].

لا ريب بأن هذا التفكير الذي سيطر على بعض الأمراء يدل على مدى خشيتهم من قوة الصليبيين ، و من ثم يعكس الوضع النفسي الذي باتوا يعيشون فيه ، لذلك اضطر غلى تغيير خطته ، و ترك عسقلان ليوجه جهده للدفاع عن المناطق الداخلية و بخاصة بيت المقدس ،[3] غير أنه لا يمكن ترك عسقلان ليحتلها الصليبيون و هي عامرة فيستغلونها في الاستيلاء على بيت المقدس و في قطع طريق مصر ، لذلك أسرع إلى تخريبها وسط بكاء الناس أسفا و غما لخرابها .[4]

بالنسبة للصليبيين ، فنجد ان معركة أرسوف عدت بمثابة الانتصار الثاني الذي حققته الحملة الصليبية الثالثة بعدما انتزعت عكا من ايدي المسلمين ،و أدت إلى رفع معنويات الصليبيين إلى درجة كبيرة ، أما القيادة الصليبية ممثلة في ريتشارد الأول فقد تألق نجمه بصورة كبيرة ، و بلغت شهرته ذروتها [5].

[1].Grousset ،R. Histoires de Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem . Paris. 1924. 3. P .71.

[2]. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 10 ، ص 100 .

[3]. محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1986 م ، ص 177 .

[4]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 280-283 .

[5]. محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص 22 .

المطلب الثاني : جوانب الاختلاف بين حطين و أرسوف :

يحسن بنا أن نعمق دراستنا لمعركة حطين ومعركة أرسوف من خلال اتباع النهج المقارن ، فكلا المعركتين خاض غمارهما الجيش الأيوبي على أرض فلسطين ، و يدعم مشروع المقارن هذا وجود عدة جوانب اتفاق و اختلاف بينهما ، كما أن الفارق الزمني بينهما متقارب ، فمن الملاحظ أن معركة حطين تتفق مع أرسوف في بعض الزوايا و تختلف عنها في البعض الآخر .

و من مظاهر الاتفاق أن كلتيهما جرت في أرض فلسطين ، و حملت أسماء مدن في فلسطين (حطين و أرسوف) ، كما ان كلتيهما كانت تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، و قد جرت في الربع الأخير

_زمن المعركة، فبالنسبة لزمن المعركة حطين حدثت في عام 583هـ/ 1187م ،اما معركة ارسوف في عام 587هـ/1191م .

_ اطراف المعركة : فالملاحظ ان القوات الصليبية في معركة حطين كانت متمثاة في امكانيات الصليبيين المحليين ، بينما في معركة ارسوف كانت تدعم صلبيي الشام قوات اوربية في صورة عناصر الفرنسيين والانجليز ممن خدموا خلال الحملة الصليبية الثالثة .

_النطاق الجغرافي للمعركة :بالاضافة ان حطين كانت في الجليل الاعلى ، بينما ارسوف كانت على الساحل في حطين لم يكن هناك نطاق غابي خلال ارسوف التي كان يوجد بها نطاق غابي ساعد المسلمين في الاختباء بيه.

_ نتيجة المعركة حطين، انتصار صلاح الدين في معركة حطين على الصليبيين ، و من بين الأشباب التي كانت وراء انتصار المسلمين ، براجع مملكة بيت المقدس الصليبية تراجعا مطردا بدءأ بجهاد عماد الدين زنكي و ابنه نور الدين محمود ، و صوى إلى صلاح الدين الذي قام بدور مهم ، إعداد المسلمين النفسي و المادي ، قدرة صلاح الدين على شق الصف الصليبي و التحالف مع أحد كبار رجال الصليبيين في

بلاد الشام ، و هو ريموند الثالث صاحب طرابلس ، استعمال صلاح الدين الخطط العسكرية الجيدة ، و تنفيذ سياسة حكيمة ، فقد أحسن اختيار أرض المعركة ، و حدد زمان وقوعها مستخدما في ذلك سلاح التعطيش دليل على خبرته العسكرية ، و الذي كان أحد الأسباب البارزة في هزيمة الصليبيين ، بالإضافة و إلسلاح التعطيش جرت المعركة في يوليو حيث تكون درجات الحرارة عالية فقد اجتمع على الجيش الصليبي حر يوليو و العطش مما تسبب في إنهاك قوى الجيش الصليبي ،بالإضافة إلىأنه خيم بعسكره على طبرية ، فنعم بالماء و الظل ، و بذلك حال دون الصليبيين و الماء ،مشاركة صلاح الدين بنفسه في المعركة ، إذ أن وجوده وسط عسكره في ساحة المعركة كان من العوامل المهمة التي دفعتهم إلى الاستماتة في القتال ، و انعكست عبقرية صلاح الدين في إيجاد اتصالات و مخابرات متينة ضمن صفوف الصليبيين بحيث كانت أخبار تحركاتهم تصل إليه بسرعة ، [1]لإلى جانب أسباب انتصار المسلمين هناك أسباب أدت إلى هزيمة الصليبيين ، منها انحطاط الروح المعنوية لأفرادهم بعد الانقسام في الرأي بين القادة ، فكانوا يسيرون مكرهين بين مؤيد للزحف و معارض له ، صعوبة الطريق ، الذي بلغ طوله ستة عشر ميلا ،تعرضهم لهجمات المسلمين الخاطفة ، جميع هذه الأسباب أدت إلى انتصار الجيش الأيوبي على الصليبيين .[2]

أما نتيجة معركة أِرسوف فقد كانت انتصار الصليبيين على الجيش الأيوبي وطلك راجع إلى عدة عوامل مهمة أدت إلى نجاح الصليبيين في إلحاق الهزيمة بالمسلمين ، أنها جرت قي سبتمبر أي في فصل الخريف ، نوعية القيادة الصليبية ذاتها ، إد أن ريتشارد تمتع بمهارات حربية واضحة ، و لا أدل على ذلك من اتجاهه نحو السير في الطريق الروماني القديم الموازي للساحل البحر المتوسط على نحو لم تتوقعه القيادة الأيوبية ذاتها ، ثم خطته الأولى في امتصاص الموجة الأولى من الهجوم الأيوبي غلى أن تضعف و عندئذ يبادر بالمواجهة و التحول من الأسلوب الدفاعي إلى الأسلوب الهجومي ، و كطلك لا نغفل فعاليات الأسطول الصليبي الذي عمل على تقديم المساعدات الحربية قي الرجال و المؤن اللازمة قبيل خوض

[1]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 153 .

[2]. المرجع نفسه ، ص 149 .

المعركة ، كما أنه عمل على تأمين الجانب الأيمن للجيش الصليبي ، بالإضافة إلى وجود عناصر حربية على كفاءة عالية خاصة عناصر الرهبان الفرسان كالإسبتارية و الداوية ، أما العوامل التي أدت إلى عجز الجيش الأيوبي عن تحقيق الانتصار ، فهناك مثلا غياب فعاليات الأسطول الأيوبي ، الأمر الذي كان له أثر في إضعاف قوة المسلمين ، بالإضافة إلى أن الجيش الأيوبي خرج مجهدا من معركة عكا ، ضف غلى ذلك ان الجيش الأيوبي خاض مغارك طاحنة و لم تتوقف تقريبا إلا لتعود مرة أخرى في مواجهته للصليبيين مما تسبب في إجهاده .[1]

خامسا : رد الفعل الأوربي ، و قد تمثل رد الفعل الغربي الأوربي الذي أصيب بالذعر لفقد بيت المقدس في معركة حطين ، و ما تلاه من احتلال كثير من القلاع و مدن الساحل ، تمثل رد الفعل هدا في حملة صليبية جديدة هي الحملة الصليبية الثالثة [2] و التي فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي و هو استرداد بيت المقدس ، أما بالنسبة لرد الفعل الإسلامي عن الهزيمة في معركة أرسوف تمثل في معركة يافا 588 هـ / 1192 م .

سادسا : معركة حطين كانت حاسمة و معركة أرسوف غير حاسمة ، لا شك ان معركة حطين كانت حاسمة و الدليل على ذلك ان معركة حطين أعظم من مجرد كارثة عسكرية ، حلت بالصليبيين ، لقد كانت في حقيقة أمرها بشيرا بنجاح المسلمين في الفضاء على أكبر حركة استعمارية شهدها العالم في العصور الوسطى ،[3] كما شكلت حدا تراجع عنده المد الصليبي باتجاه الشرق الأدنى و بداية النهاية للوجود الصليبي في المنطقة ،

أنهت المعركة زهاء تسعة عقود من الاضمحلال و التدهور و التشرذم في المنطقة الإسلامية ، توج النصر في حطين مسيرة صلاح الدين ، و وضعه في صفوف كبار المجاهدين و القادة و الحكام المسلمين ،

[1]. محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص 35 – 37 .

[2]. وفاء محمد علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر و الشام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1407 هـ ، ص 116 .

[3]. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 810 -811 .

كما أعاد الثقة بالنفس و الكرامة التي كانوا قد فقدوها بعد وفاة نور الدين محمود ن كان لانتصار صلاح الدين في حطين صدى بالغا في نفوس المسلمين بعامة و اهالي دمشق خاصة ، لأن دمشق آنذاك كانت مركز أعماله و مفره و فيها قضاته و كتابه ،من بينهم المؤرخ ابن شداد ، كانت معركة حطين ، معركة تحير فلسطين لأنها هي التي فتحت طريق النصر إلى بيت المقدس و باقي فلسطين ، [1] و قد وصف ابن واصل هذه المعركة بقوله : " ...كانت وقعة حطين مفتاح الفتوح الإسلامية ، و بها تيسر فتح بيت المقدس ..." ، [2] غدا لسم صلاح الدين بعد الانتصار ، من الرهبة في قلوب الصليبيين الممزوجة بالإعجاب و الإجلال ، نظرا لما اتصفت به فتوحاته من النبل و الشهامة و المروءة ، كما كان لتسامحه معهم و حسن معاملته لأسراهم أثر كبير في استسلام العديد من المدن و الحصون ،فقد نتج عن معركة حطين أسر الملك الصليبي و كبار الأمراء و هذا دليل عل كونها حاسمة و هذا ما لم يحدث في معركة أرسوف فلم يكن هناك أسر للملوك الأيوبيين ، بعد انتصار حطين شرع صلاح الدين بفتح سائر المدن و القلاع الصليبية واحدة تلو الأخرى فتحا سريعا متواصلا ، تسببت معركة حطين في نقص ملموس في الفرسان المحاربين الصليبيين ، سبق للنصارى في الشرق أن تعرضوا للكوارث ، إذ حدث من قبل قتل بعض أمرائهم كما وقع ملوكهم و امراؤهم في الأسر ، على حين جرت في قرون حطين إبادة اضخم جيش حشدته المملكة ، حيث ضاع صليب الصلبوت .[3]

أما فيما يتعلق بمعركة أرسوف فلم تكن حاسمة ، فالدليل على ذلك أن الصليبيين أنفسهم بعد أن لجأ المسلمون إلى غابة أرسوف لم يتبعوهم و خشوا أن يكون هناك كمين من وراء ذلك الاتجاه ، و كذلك نجد أن الجيش الأيوبي بعد أحداث المعركة ظل يحتفظ بفعاليته الحربية ، و قدراته على الأخذ بزمام المبادرة ، و في حالة القول بحسمها لأمر الصراع بين المسلمين و الصليبيين و المسلمين حينذاك لما وجدنا ذلك هو وضع الجيش الأيوبي من بعد احداث المعركة ، بالإضافة على ذلك أن منطقة أرسوف ذاتها

[1]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 154 .

[2]. ابن واصل ،المصدر نفسه، المصدر السابق، ج 2 ، ص 188 .

[3]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص154 – 155. .

حيث البحر المتوسط و الوادي الضيق و الغابات ، لا تسمح بوجود معركة حاسمة تحقق مكاسب عسكرية كبيرة لأحد طرفي الصراع ضد الطرف الآخر ، و في حالة كون أرسوف جدلا في منطقة متسعة لا يعيقها البحر من الغرب و الغابات من الشرق لكان من الممكن افتراض توافر الصفة السابقة لتلك المعركة .[1]

إضافة على ذلك أن سيطرة الأيوبيين على داخلية فلسطين و على نحو خاص بيت المقدس الذي بذل ريتشارد قصارى جهده لإسقاطها دون جدوى ، و عجز الصليبيون على الإستيلاء عليها بعد معركة ارسوف ، يدل بجلاء على انها كانت أبعد ما يكون عن الحسم ، و لم تغير خريطة المنطقة على المستوى الجغرافي و السياسي و الحربي ، بالصورة التي وجدناها لدى معركة حطين عام 583 هـ / 1187 م و التي أدت بالفعل إلى نتائج حاسمة .[2]

بصفة عامة ، فالقول بأن أرسوف معركة حاسمة راجع إلى أن المؤرخين الأوربيين بالغوا في ذكر معركة أرسوف و أرادوا أن يوجدوا بديلا عن معركة حطين ، و ان يبالغوا في ذكر ريتشارد قلب الأسد، و من الممكن أن نلاحظ أن في معركة حطين كانت هناك قيادة صليبية معروفة على المستوى الحربي في صورة أرناط ، أما معركة أرسوف فقد اختلفت فيها تلك القيادة ، نظرا للفتك بها في أعقاب حطين ، بالإضافة إلى ذلك لم تكن معركة أرسوف هي المعركة الوحيدة التي ألحقت الهزيمة بالشلطان صلاح الدين الأيوبي فهناك معركة تل الجزر قي 573 هـ و عمرة عكا في 690 هـ م1291 م .

[1]. محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص 34 – 35 .

[2]. المرجع نفسه ، ص 35 .

الفصل الثالث

القدس بين المفاوضات و التسليم عند الأيوبيين

و يحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: بيت المقدس على طاولات المفاوضات

المبحث الثاني: بيت المقدس خلال حكم الملك العادل و الملك الكامل

الفصل الثالث: القدس بين المفاوضات و التسليم عند الأيوبيين

المبحث الأول: بيت المقدس على طاولات المفاوضات

المطلب الأول : المفاوضات بين صلاح الدين و ريتشارد قلب الأسد

بعد معركة أرسوف اعتبر العادل أخو صلاح الدين دبلوماسيا مهارا على حد تعبير رنسيمان ، حيث أنه استطاع إقناع صلاح الدين بقبول اقتراح ريتشارد بالهدنة في 18 شوال 587 هـ ، و اشترط الملك الإنجليزي ما يلي :

- أن يستعيد صليب الصلبوت من صلاح الدين
- الحصول على بيت المقدس و الإقليم الواقع غربي نهر الأردن ، و لكن صلاح الدين رفض ذلك بحجة أن بيت المقدس هو مكان عند المسلمين أيضا ، و أنه لن يعيد له الصليب إلا مقابل الحصول على بعض الإمتيازات ، و يقدم ريتشارد بعد عشرة أيام مقترحات جديدة تنص على ما يلي :
- أن يتزوج الملك العادل من الأميرة جونا [1]أخت ريتشارد و أرملة ملك صقلية .
- أن يكون للعادل كل ما في حوزة صلاح الدين ، مقابل أن يكون للملكة جونا كل ما فتحه ريتشارد من الملك الساحلية ، بما في ذلك عسقلان .
- إن يقيم العروسان في بيت المقدس ، و أن يتيسر للمسيحيين التردد عليها .
- إعادة الصليب الصلبوت و إطلاق الأسراء من الجانبين .2

يبدو أن العلاقات الصليبية الأيوبية قد أصبحت أفضل حالا حيث أن رفض الملك العادل لطلب ريتشارد الذي يقضي باعتناقه المسيحية جاء مؤدبا ، حيث دعا الملك الإنجليزي على وليمة فاخرة أقامها

[1]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 115 – 116 .

[2]. نفسه، المرجع السابق ، ص 300 .

في 18 شوال من نفس السنة ، و كان احتفالا كبيرا و تعززت فيه روابط الصداقة بين الطرفين حيث تبادلا الهدايا .1

في الوقت نفسه استقبل صلاح الدين رينولد صاحب صيدا و هو رسول من قبل كونراد دي منت فرات عرض عليه أن يتحالف معه مقابل أن يمنحه صيدا و بيروت ، و أن تعود عكا إلى المسلمين ،2 و قد حاول ريتشارد مع كونراد ليرجعه في صف الصليبيين غير أن محاولاته فشلت ، و جدد كوندراد محاولات التفاهم مع صلاح الدين .3

لجا السلطان الناصر إلى عقد اجتماع مع أركان حزبه ليقررمع من يمضي المعاهدة ، و أي الطرفين أنسب للمفاوضات ، و مال صلاح الدين إلى ريتشارد لأنه سوف يرحل عن الشرق ، عكس كونراد الذي كان ينوي البقاء و الاستقرار في فلسطين فتقرر قبول ريتشارد .4

أغتيلكوندار في 13 ربيع الآخر سنة588 هـ ، علي يد رجلين يقال أنهما من الحشاشين ،5 ففرح ريتشارد بهذا الخبر لأنه كان يراسل صلاح الدين و يعينه في حربه ضد ريتشارد، خلفه هنري دي شامبانيا على مملكة بيت المقدس و تزوج من ارملة كونراد و وريثة عرش المملكة 6 يقول ابن شامة 7 :"... أنها كانت حاملا عندما دخل بها و يضيف : " ... وما الحمل في ملة الفرنج عن النكاح حائلا ، و يكون الولد منسوبا إلى الملكة ، هذه قاعدة عند الطائفة المشركة ...". و بهذا تكون مشاكل الفرنج الداخلية حلت .8

---

[1]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 117 .

[2]. أبو شامة ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 166 .

[3]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 195 .

[4]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 117 .

[5]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 163 . أبوشامة ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 167 .

[6]. رنسيمان ، المرجع السابق، ج 3 ، ص 125 .

[7]. نفسه، .المصدر السابق ، ج 4 ، ص 175 .

[8]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 196 .

تفاقمت مشاكل المسلمين الداخلية بعد استيلاء الفرنج على قلعة الدروم في جمادى الأولى إلى 23 ماي من نفس السنة نهبوها ، لكنه فشلوا في الاستيلاء على مجدل فاستمروا

بالزحف نحو بيت المقدس ،1 و وصلوا بين نوبا في 27 جمادى الأولى من نفس السنة .2

و قد تراجع ريتشارد عن قراره في الزحف باتجاه بيت المقدس، ما أثر ذلك إيجابيا على نفسية الجيوش الإسلامية ، فلم يبدي الطرفان رغبة في القتال ، و اظهروا جمدا عسكريا فلجأ الطرفان إلى المفاوضات ، و نصت المعاهدة على ما يلي :

- أوصى ريتشارد أن يجعل صلاح الدين ، ابن أخته هنري كونت شامبانيا في كتفه و تحت رعايته ، و ألح على ضرورة التوصل إلى إتفاق ودي .
- أن يسمح صلاح الدين لقس من اللاتين بالبقاء في الأماكن المقدسة .
- أن يتنازل للمسيحيين عن الساحل الفلسطيني ، بشرط تدمير استحكامات عسقلان ، لكن ريتشارد رفض النظر في تدمير عسقلان .

في الوقت الذي كان فيه رسل المفاوضات تتناقل بين ريتشارد و صلاح الدين ، أعد ريتشارد خطة ، و ترك المفاوضات دون توقيع بإتجاه عكا ، و خطط للهجوم المفاجئ على بيروت بهدف الاستيلاء عليها ، ثم يبحر منها إلى أوربا ، استغل السلطان الناصر الفرصة ، ففي 15 رجب 588 هـ خرج بجيشه من بيت المقدس و وصل إلى يافا في مساء نفس اليوم ، و بدأ على الفور في الهجوم على المدينة ، و تدفق الجيش الإسلامي إلي داخل المدينة بعدما استطاعوا إحداث ثغرة في الأسوار ، و القصف بالحجارة لمدة ثلاثة أيام ، و في نفس اليوم الذي قارب فيه صلاح الدين من الوصول إلى مدينة يافا ، وجهت رسالة استعجالية إلى ريتشارد تعلمه بالخبر ، فاسرع بالرجوع إلى نجدتها ، و قد سلك طريق البحر و حينئذ ، وقعت معركة كان الانتصار فيها من نصيب صلاح الدين ، فاستسلم ريتشارد و ارسل رسولا يطلب

---

[1]. نفسه ، ص 196 .

[2]. ابن شداد ، المصدر السابق ، ص 205 . 207 ، أبو شامة ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 176 .

التفاوض و الصلح مع صلاح الدين ،1 لكن صلاح الدين لم يستثمر هذه الفرصة لصالحه ،2 مما ادى بريتشارد بشن هجوم مضاد ، و كان النصر من نصيب ريتشارد ، مما جعل صلاح الدين يأمر جيشه بالتراجع .3

المطلب الثاني: صلح الرملة و وفاة صلاح الدين.

توجه السلطان صلاح الدين باتجاه الرملة ، في الوقت الذي كان فيه يمد ريتشارد بالفاكهة ، و الثلج عندما مرض ، فوصل رسوله مع الحاجب أبي بكر بشكر السلطان على إسعافه ،4 و جدد الطرفان الصلح لعدة أسباب ، فبالنسبة للصليبيين :

- كان مرض الملك الإنجليزي عائقا في سبيل استمرار الهجومات ، و النشاط العسكري ن وظهر عجزه عن قيادة قواته و التخطيط السليم .
- وصلت أخبار إلى ريتشارد ، مفادها أن أخاه ارتكب أعمالا سيئة في إنجلترا تتطلب منه العودة في أسرع وقت إلى بلاده لحلها .
- الارهاق الذي انهك كاهل الصليبيين .
- ما أظهره كل من ابن أخته هنري و الطوائف الدينية من انهم لم يثقوا في سياسته .[5]

أما بالنسبة لظروف التي أدت بالمسلمين إلى عقد الصلح فنجد :

✓ النزاعات و الخلفات التي حدثت بين الأكراد و الأتراك في جيش صلاح الدين و إزدياد قوة العدو .

---

[1]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 133. 135 .

[2]. محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 200.

[3]. رنسيمان ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 135 .

[4]. ابن شداد، المصدر السابق، ص 232، أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص198 – 190.

[5]. رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 133 – 135.

✓ خشية السلطان من حدوث الخلاف بعد وفاته داخل أسرته و انصرافهم عن الاهتمام بالمصلحة العامة .1

بعد عدة أيام من المفاوضات ، عقد صلح الرملة في 588 هـ ، حيث حمل السلطان العرض النهائي للصلح ، فوقعه ريتشارد قلب الأسد.

و أثبت رسل صلاح الدين أسماءهم إلى جانب اسمه على المعاهدة ونصت الاتفاقية على ما يلي :

- أن تكون عسقلان بيد المسلمين .
- أن يكون للصليبيين كل من يافا و عملها ، و حيفا و عكا و أعمالها ، و قيسارية و أرسوف ، باستثناء الرملة و الناصرة و صفورية .
- يحق للنصارى زيارة بيت المقدس ، و لكلا الطرفين الحق في اجتياز حدود كل منهما مع الحرية .
- أن تكون الرملة و اللد بين المسلمين ، و بين الفرنج مناصفة .
- اشترط السلطان دخول بلاد الإسماعلية ، و اشترط الصليبيون في المقابل دخول صاحب اطاكيا و طرابلس مع الصلح .2
- على أن تكون مدة المعاهدات ثلاث سنوات و ثلاث أشهر .

لم يكن السلطان صلاح الدين فرحا بالصلح ، ذكر أبو شامة 3: " أن الصلح لم يكن منفإنه قال لي في بعض محاوراته في الصلح :" أخاف أن أصلح ..." لكنه رأى في الصلح الطريقة النسب لحفظ السلام ، فما كان الصلح إلا توفيقا و سعادة من الله .

عادت الصلات التجارية بين الشرق و الغرب إلى سابق عهدها ، و قدم الحجاج الصليبيون إلى القدس ، كان عددهم هائلا ، ففتح لهم السلطان الباب و أرسل معهم حرسا " الخضراء " يحفظونهم حتى يردوهم

[1]. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 200.

[2]. رنسيمان ، المرجع السابق، ج4، ص135.

[3]. ابن شداد، المصدر السابق، ص232، أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص189 -190 .

غلى يافا ، و الهدف من هذا التصرف أن يقض الحجاج فترة زيارتهم ببيت المقدس و يرجعوا إلى بلادهم ، فيأمن المسلمون شرهم .

و من الجدير بالملاحظة ، الأخلاق العالية التي حرس السلطان صلاح الدين على التحلي بها ، و ذلك من خلال تسامحه مع الفرنج في أكثر من موضع ، و من بين مظاهر الشهامة حرصه تأمين الفواكه و الثلج لريتشارد أثناء فترة مرضه .1

وفاة صلاح الدين:

أقام صلاح الدين ببيت المقدس إلى أن علم برحيل ريتشارد فألتفتى إلى تنظيم الشؤون الإدارية لإقليم فلسطين ، وكان قد بلغ أنذاك 54 سنة ، و إشتد به المرض في 16 صفر عام 589هـ / 21 فيفري 1193م انتابته حمى صفراوية دامت 12 يوما، يروي لنا أبو شامة و أبو شداد2 تفاصيل مرضه، فلقد كانا مرفقين له حتى أيامه الأخيرة ،و قد عرف صلاح الدين بصبره و احتسابه فقد قاوم المرض في هدوء، و في يوم 24 صفر 598هـ/ 1193م ، و بينما كان الشيخ أبو جعفر إمام الكلاسة يتلو أمامه القرآن وحتى انتهى لقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة ...﴾،[3] فتح صلاح الدين عينه وتبسم و هو يقول :" صحيح "، ثم وفته المنية في قلعة دمشق، فجهزه القاضي المؤرخ ابن شداد، و غسله خطيب دمشق، و اجتمع عليه الناس و صلوا عليه، و دفن فيها، وعم الحزن الكبار و الصغار، و جلس ابنه للعزاء ثلاثة أيام، ثم حصرت تركته ، و كانت دينارا واحدا و ثلاثين درهمان و لم يخلف من المال سواها ثابتا أو منقولا.[4]

---

[1]. أبو شامة، المصدر السابق، ج 4، ص193.

[2]. نفسه، ص 221، ابن شداد، المصدر السابق، ص 308.

[3]. القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية 22.

[4]. ابن شداد، المصدر السابق، ص 249، أبو شامة، المصدر السابق، ج4، ص 121، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص224،عبد العزيز السيد، أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، مصر،1994، ص 225.

المبحث الثاني: بيت المقدس في عهد الملك العادل (569– 615هـ / 1147 –1214م)

المطلب الأول: الملك العادل و مجريات الجهاد مع الصليبيين

أبدى الصليبيون ارتياحا لما يحدث في البيت الأيوبي من تفكك ، واخذوا يراقبون ما تأتي به الظروف بين هؤلاء الإخوة أصحاب هذه الدويلات المتنازعة ،[1] و أعدوا أنفسهم لحملة صليبية جديدة الانتقام من صلاح الدين متمثلا بالمسلمين ،[2] و ساعدت ظروف الهدنة التي عقدوها مع صلاح من قبل سنة 1192 م على تجميع إمداد و جنود ، لكنهم أيضا أرادوا القيام بخطوة استطلاعية جريئة ،[3] لتعرف على قدرة خلفاء صلاح الدين على الاحتفاظ بأراضيهم ، فقاموا بالهجوم على مدينة جبيل ،[4] فاستولوا عليها سنة 590 هـ / 1194 م بدون قتال بعد خيانة أميرها الكردي الذي سلم المدينة إلى الصليبيين ، مقابل بعض الأموال ،[5] و هذا يدل على مدى ضعف الأفضل و عدم أهليته لتولي الحكم ، [6] وكان الصليبيون قد استبشروا خيرا بهذه الصراعات لأنها كانت ذات تأثير إيجابي عليهم في حروبهم الشرسة ضد المسلمين ، لأنهم ضمنوا البقاء في بلاد الشام لمدة أطول ، كما أدت إلى ضعف المقاومة

[1]. ابنكثير،المصدر السابق،ج 13 ،ص 63 ؛ابنإياس،نزهةالأمم في العجائب و الحكم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995،ج،ص 134 .

[2]. المقريزي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 129 .محمد فريد عبد القادر ، معارك فاصلة في تاريخ الإسلام، ط1، دار المستقبل العربي،(د.ت)، ص 129 . موير ، المصدر السابق، ص 26 .

[3]. ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 10 ، ص 246 . أبو شامة ، المصدر السابق ، ص 6 . عامر سامية ، الصليبيون في فلسطين و بلاد الشام ، ط 1 ، عين للدراسات ، القاهرة ، 2002 م ، ص 84 .

[4]. جبيل هي تصغير الجبل ، و هو الجبل الذي بالسوق ، و هو سلح ، و جبيل لد في سواحل دمشق فتحها صلاح الدين سنة 583 هـ ، فباعها الكرند إلى الفرنج ، انظر : ياقوت ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 109.

[5]. أبو الفداء المصدر السابق ، ج 3 ، ص 114. علي السيد علي ، القدس في العصر المملوكي ،دار الفكر للدراسات و التوزيع،مصر، (د.ت)،ج1، ص 21 .

[6]. ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 110 . زكار ، المرجع السابق ، ج 11 ، ص 390 .

الإسلامية بشكل عام ،[1] و أصبحت لديهم فرصة ذهبية لتجميع قواتهم للتوسع من جديد مستغلين انشغال أبناء صلاح الدين في صراعاتهم الداخلية من أجل أراضي و تولي السلطنة[2]، فأفقدت الدولة قوتها العسكرية، و مزقت وحدتها، مما سمح لمملكة بيت المقدس الوهمية التي نقلت مقرها إلى عكا بأن تعيش و تحلم باستعادة بيت المقدس[3]، حتى أن ملكها الجديد هنري دي شانبانيا لم يتوج فيها و كان ينتظر ان يعود إلى بيت المقدس ليتوج هناك [4]، كما حالت هذه الصراعات بين صلاح الدين دون أن يسلم المسلمون زمام الهجوم على المملكة الوليدة الضعيفة، و تمكن ملكها الجديد ان يعيد إليها النظام و بعض القوى [5]، و كانت أوربا على علم بهذه الصراعات الداخلية ومدى سوء أوضاع الدولة الأيوبية،[6] لهذا قرر هنري السادس امبراطور ألمانيا استغلال تردي الأوضاع الداخلية للدولة الأيوبية من خلال حسم الصراع مع المسلمين عن طريق استعادة بيت المقدس من أيديهم،[7] و تحقيق حلمه الكبير بتشكيل امبراطورية عالمية في الغرب عن طريق إخضاع الشرق، و كذلك الامبراطورية البزنطية للسيطرة الألمانية،[8] و لا يخفى أن الدولة البيزنطية كانت في صراع مستمر مع الغرب الأوربي حول زعامة العالم المسيحي،[9] فضلا عن ذلك أن هنري أراد أن يكسب الصراع مع البابا حول مشكلة التقليد العلماني للملوك من

[1]. أبو شامة ، المصدر السابق ، ص 60 . الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، 1969، ص 203 .

[2]. أبو شامة، المصدر السابق، ص 9، الفيتري يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، الأردن، 1998، ص 70.

[3]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج13، ص66.

[4]. نفسه، المصدر السابق، ج10، ص 219 ،رنسيمان ، المصدر السابق، ج3، ص123.

[5]. رنسيمان، المصدر السابق، ج3، ص 55.

[6]. ابن الأثير، المصدر السابق ،ج 10، ص 227.

[7]. أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص 114، علي السيد علي، المرجع السابق، 61.

[8]. ابن كثير، المصدر السابق ، ج 13، ص 68، صورايال عزيز عطية، الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب ، ترجمة فليب صابر سيف، ط2، دار الجيل، القاهرة ، 1990، ص 69.

[9]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 246، زابروف ميخائيل، المصدر السابق، ص 212.

خلال اخضاع الشرق ضمنها الأراضي المقدسة، [1] و كان يأمل أيضا باستعادة مكانة الألمان في الأراضي المقدسة ، و هذا يعني أن امبراطور ألمانيا سوف يدخل في صراع من أجل استعادة إمتيازات الألمان في القدس و غيرها،[2] فأعد حملة لهذا الغرض و أسند قيادتها إلى كونراد رئيس أساقفة مدينة مينز و أدولف كونت هولشتن ، و كان يهدف إلى تحقيق تلك الأحلام العريضة،[3] و وصلت هذه القوات إلى عكا في شوال 593 هـ / 1197 م ،[4] و رغم أن ملك بيت المقدس كان يرحب بقدوم حملة صليبية جديدة إلى الشرق، لكنه كان هذه المرة يساوره الشك حول إمبراطور ألمانيا لأنه أدرك أن هنري يريد الكسب الصراع مع بيزنطا حول زعامة العالم المسيحي لهذا استقبل جنود الحملة ببرود كبير،[5] و على الرغم من ذلك تقدمت القوات الألمانية إلى الجليل، مما أثار حفيظة العادل الذي خرج بالقوات لمواجهة الحملة الألمانية و انضم إليه العزيز عثمان لمساعدته، لكن الألمان تراجعوا إلى عكا، فغير العادل من خططه و هاجم يافا و نجح في دخولها سنة593هـ / 1197 م،[6] و قامت الحملة بالرد على ذلك بأن هاجمت تبنين [7] و حاصرتها في شهر محرم 593 هـ /1197 م، لكنها فشلت في دخولها (تبنين)،[8] لكن القوات الألمانية أصيبت بخيبة أمل كبيرة بعد وفاة هنري السادس سنة593هـ / 1197 م،[9] و اندلاع الحروب الداخلية

[1]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 288، ابن كثير، المصدر السابق ، ج 13، ص 89.

[2]. رنسيمان، المصدر السابق، ج3، ص 169، موير، المرجع السابق، ص 27، السلبي أحمد، التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط7، دار النهضة المصرية القاهرة، 1986 ، ص764.

[3]. ابن كثير، المصدر السابق ، ج 13، ص 68، موير ، المرجع السابق، ص 28.

[4]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 246.

[5]. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص69، الذهبي، المصدر السابق، ج12،ص93.

[6]. رنسيمان، المرجع السابق، ج3، ص69.

[7]. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعيين، بيروت ، لبنان، 1890، ص391، ابن سباط، صدق الأخبار،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،ط1، جروس بريس، طرابلس لبنان، 1994، ج1، ص 229.

[8]. بلدة تقع على جبال بني عامر المطلة على بانيس بين دمشق و صور إلى الجنوب الغربي، ينظر ياقوت الحموي، المصر السابق، ج2، ص 14.

[9]. أبو شامة، المصدر السابق، ص13، ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ط2،دار الكتب العلمية ، بيروت 2002، ج5، ص 386.

حول العرش، فعاد معظم الجنود الألمان إلى بلادهم، و أدى ذلك إلى فشل الحملة،[1] و أزداد موقف الصليبيين سوءا بعد وفاة هنري، فاضطربت أحوال المملكة بسبب الصراع الذي دار حول مملكة العرش،[2] و على الرغم من كل هذه الأحداث المفجعة فإن صراع السلطة بين أبناء صلاح الدين جعلت الصليبيون يحققون نجاحات سياسية عن طريق الديبلوماسية تفوق نجاحاتهم عن طريق الحروب،[3] إذ لم ينتهي طمع الصليبيين و لم يقف عند حد، فكلما هاجموا مدينة و لم يتمكنوا من أخذها عنوة عقدوا هدنة مؤقتة و مشروطة مع أميرها و استفادوا من شروط هذه الهدنة،[4] و ارتفعت الروح المعنوية لدى الصليبيين فقاموا بعدة هاجمات على الدولة الأيوبية، و لكي تكتمل الصورة نذكر هذه الأحداث أو الهجمات التي تظهر تصاعد قوة الصليبين يقابلها انعدام الرد الأيوبي،[5] و من أبرزها هذه الأحداث :

- قيام الصليبيين بالهجوم على مدينة بيروت [6]و الاستيلاء عليها سنة 593هـ / 1197 م.[7]
- محاولة الفرنج السيطرة على بعرين[8] من خلال عدة هجمات قاموا بها لكنهم فشلوا في ذلك سنة 599هـ / 1202م، بفضل تصدي صاحب حمص لهم.[9]
- في سنة 600هـ / 1207م هاجمت عشرون سفينة أراضي مصر و دخلت فرع رشيد و توغلت حتى وصلت إلى مدينة فوة[1] التي تعرضت للسلب و النهب.[2]

---

[1]. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 68.

[2]. نفسه، المصدر السابق، ج13، ص 70، عبد المنعم، المرجع السابق، ص 99.

[3].ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 246، ابن خلدون، المصدر السابق، ج55، ص 387.

[8]. ابن كثير، ج13، ص 89، أحمد الشامي، صلاح الدين و الأيوبيون ، ط1، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة، 1991، ص 183.

[5].ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 247.

[6]. مدينة مشهورة على بحر الشام، تعد من أعمال دمشق، بينه و بين صيدا ثلاثة فراسخ، ينظر: ابن عبد الحق، مراصد للإطلاع، تحقيق : على محمد بجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج1، 240.

[7]. ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص 112، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج5، ص 333.

[8]. بوزن خمسين، بلد بين حمص و الساحل، و هو ميناء، وهو من الأخطاء العامة و إنما برين، ينظر: ابن عبد الحق، المرجع السابق، ج1، ص 208.

[9]. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 98.

و يبدو أن الصليبيين أتبعوا سياسة الحرب الخاطفة على الدولة الأيوبية للحصول على الغنائم ليتقوابها، وجسا لنبض القوات الإسلامية و الوقوف على أماكن الضعف و القوة التي يمكن لها مقاومة الصليبيين، و كانت هذه السياسة نوعا من الحرب النفسية،[3] لإنزال الخوف و الرعب في نفوس المسلمين الذين كانت معنوياتهم منهارة بسبب فقدان أو بالأحرى وفاة صلاح الدين و حصرتهم على تفكك الدولة الأيوبية و دخول قادتها في صراع مرير من أجل السلطة، و في هذه المرة أخذ العلماء يحركون العامة للضغط على أمراء بني أيوب لوقف الصراعات و التفرغ لمواجهة الصليبيين،[4] و لإشاعة الاضطراب في صفوف الجيش الأيوبي المنهار نفسيا أي أنهم كانوا بذلك يحاولون التمهيد لمجئ حملة صليبية جديدة لأجل استعادة بيت المقدس من المسلمين،[5] و تزامنت هذه الاستعدادات مع جهود البابا أنوسنت الثالث (597 – 613 هـ/ 1198 – 1214 م)[6]، لتجهيز حملة صليبية جديدة هدفها محو العار الذي أصاب الصليبيين على يد صلاح الدين و استرداد بيت المقدس فنجح في الإعداد للحملة الصليبية الرابعة،[7] و على هذا الأساس كانت هذه الصراعات تصب في مصلحة الغزاة الصليبيين بصورة عامة، لأنها زرعت في نفوسهم الأمل في بلاد الشام في ظل اشتداد صراع السلطة بين أبناء صلاح الدين و أخوته، وظهر في هذه الحملة تعاون بين بعض الإمارات الصليبية مع الصليبيين لتحقيق مكاسب على الأرض مثل إمارة أنطاكيا،[8] و لكن من حسن حظ المسلمين بشكل عام و الدولة الأيوبية بشكل خاص

---

[1]. بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 10.

[2].ابنكثير،المصر السابق،ج 13 ،

[3]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 341، أبو شامة، المصدر السابق، ص6.

[4]. الذهبي ، المصدر السابق،ج 12، ص 954، غنيم، دراسات في تاريخ امبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامغية ،الإسكندرية،1991، ص67.

[5]. ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 10، ص 342، ابن كثير ، المصدر السابق، ج 13، ص 108.

[6]. ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 109.

[7]. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر،(د.ت)، ص6، الذهبي، المصدر السابق، ج 13، ص8.

[8]. مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، المطبعة الحيدرية و مكتبتها في النجف، 1976، ص 398.

أن أوربا دبت فيها الخلافات و الصراعات بين أقطابها،[1] فلهذا لم تستطع استغلال تفتت الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين، فضلا على أن فكرة الحرب المقدسة قد انكمشت لدى الأوربيين.[2]

و عندما تولى الملك العادل السلطنة سنة 596 هـ / 1201 م تغيير حال الدولة بعض الشيئ و لو لا وجود العادل في هذه المرحلة الحرجة لانهارت الدولة تحت الصليبيين من الخارج و الصراعات الداخلية بين أبناء صلاح الدين.[3]

و كان دور العادل في هذه المرحلة الخطيرة كبيرا جدا على الرغم أنه انتهج سياسة مغايرة لسياسة صلاح الدين لحسم الصراع مع الصليبيين،[4] و لأن العادل كان لايثق بمساعدة أبناء أخيه له في حربه مع الصليبيين، و كان يعتقد أنهم يتحينون الفرصة السانحة للقضاء عليه، لأنهم كانوا في صراع مستمر من أجل السلطة،[5] فاضطر إلى لاتخاذ قرار بعدم مهاجمة القوات الصليبية، إلا في حالة إلا إذا أتسمت تحركاتهم العسكرية بالخطورة الكاملة، لهذا غير من سياسة الدولة الأيوبية و اتبع سياسة أخرى تقوم على التسليم و المهادنة مع الصليبيين،[6] ففي بداية حكمه كان يحاول بكل الوسائل عدم إثارة حرب كبيرة معهم، لأنه كان بحاجة إلى الوقت لتثبيت سلطته بالداخل،[7] فعمل على إرضائهم بأي ثمن و حاول إغراء

[1]. الذهبي،المصدر السابق، ج 22، ص222، نورمان، التاريخ وسط قصة الحضارة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات ، القاهرة، 1997، ج2، ص418.

[2]. ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 72.

[3]. ابن سباط، المرجع السابق، ج1، ص 229.

[4]. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 152.

[5]. ابن عديم، المصدر السابق، ج4، ص 109، ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص80.

[6]. مجير الدين الحنبلي، المرجع السابق،ص 404.

[7].ابن كثير ، المصدر السابق، ج14، ص 90.

الصليبيين بالنشاط التجاري لأجل إبعادهم عن الحروب مع الدولة الأيوبية، و نجح العادل بهذه السياسة في إبعاد تفكير الصليبيين في القيام بحملة صليبية على بلاد الشام.[1]

لكن العادل أفرط في سياسة التسامح مع الصليبيين، مما تسبب في الأذى الذي يلحق بالمسلمين، إذ أنه لم يكتفي بعدم الهجوم بل إنه كان يغض النظر على العدوان الصليبي،[2] رغبة منه في عدم إشعال نار الحرب معهم و خير مثال على ذلك رد العادل على قيام القراصنة في قبرص بالاستيلاء عللا بعض السفن التابعة للأسطول المصري،[3] فكان موقفه هو أنه اكتفى بانذار ملك بيت المقدس و اقتنع برد الأسرى فقط ،[4] و هذه السياسة تختلف عن سياسة صلاح الدين، و لجأ العادل إلى استخدام الأسلحة الديبلوماسية و التآمر بدلا من الحروب لمواجهة الغزاة المغتصبين ،[5] و استخدم سلاح المعاهدات و الإمتيازات التجارية لدفع الصليبيين لعقد سلم دائم، لأن العادل تصور أنه لم يعد بحاجة إلى الجهاد أو أنه لم يعد هناك سبب يدع للجهاد بعد استرجاع بيت المقدس و ضعف الجانب الصليبي،[6] فقد إلتزم نحو هؤلاء سياسة التعايش السلمي و التبادل التجاري.

لهذا عقد معاهدات عديدة مع الجانب الصليبي ناشدا من خلالها سلما دائما بين الطرفين،[7] و من أبرز هذه المعاهدات :

[1]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 288، كلود كاهن، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سيناء للنشر،(د.ت)، ص235.

[2]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 291، الشامي، المصر السابق، ص 181.

[3]. ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 101.

[4]. الحنبلي، المصدر السابق،ص 215.

[5]. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 167، الحجازي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، القاهرة، 1970، ص 23.

[6]. ابن العميد، المصدر السابق، ص 9.

[7]. مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق، ص401.

- عقد الملك العادل صلحا مع ملك مملكة بيت المقدس، لمدة ثلاث سنوات بموجبها احتفظ الفرنج ببيروت و جبيل ، و بقية يافا بيد العادل، و تم تقسيم صيدا مناصفة بين الطرفين.[1]
- عقد العادل صلحا مع الفرنج وفيها تنازل العادل على اللد و الرملة.[2]
- و أبرم الملك العادل صلحا مع بوهيموند الرابع و فيه تم تبادل الأسرى.[3]

و من الواضح أن سياسة العادل و تسامحه كانتا لا تتفقان بأي حال و روح العصر و حماسته المسلمين الذين دأبوا على عقد اجتماعات في جامع دمشق، لإعلان استنكارهم لسياسة الإستكانة التي أتبعها العادل مع الصليبيين.[4]

هذه السياسة المخزية التي أتبعها العادل كانت جزءا من صراع السلطة التي ظهرت بعد وفاة صلاح الدين و ابنائه و إخوانه.[5]

المطلب الثاني: تسليم القدس على يد الكامل (627هـ / 1229م)

جاء أمبراطور ألمانيا لمساعدة الملك الكامل ضد الملك المعظم عيسى، لكن نجاح الملك الكامل لحسم الصراع لمصلحته جعل الملك الكامل يتراجع عن و عودهللامبراطور الألماني،[6] الذي فضل في الدخول في مفاوضات شاقة مع الملك الكامل و انتهت بتوقيع صلح يافا في ربيع الأول 627 هـ / شباط 1229م،[7] و نصت على تسليم القدس للصليبيين لترضية الإمبراطور الألماني،[1] و كان ذلك

[1]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص 14، أبو شامة، المصدر السابق، ص 34.

[2]. ابن الفرات، المصدر السابق، ج1، ص 20.

[3]. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 166، مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق، ص401..

[4]. الخياط، المختصر في الكامل، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،(د.ت)، ص 95.

[5]. الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص 16.

[6]. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 288، سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام ، ط2، دار النهضة العربية ،القاهرة، 1976، ص86.

[7]. أبو الفداء ، المصدر السابق، ج 3، ص 172، العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية ،القاهرة ،(د.ت)، ص 126.

صدمة كبيرة للمسلمين لأن صراع السلطة داخل البيت الأيوبي جعلهم يتنازلون عن مقدسات الأمة لأجل مصالحهم الشخصية.

أوضاع بيت المقدس بعد تسليمها في عهد الملك الكامل:

كان الملك الكامل[2] الأيوبي على خلاف مع أخيه المعظم عيسى،[3]و من ثم فقد عمل الكانل على الاستعانة بالامبراطور الألماني فرديريك الثاني،[4] و ذلك حتى يشغل به المعظم عن حربه، فوعده مقابل ذلك بتسليم بيت المقدس إليه.[5]

أما الامبراطور فرديريك ، فبعد محاولات عديدة[6] لتأجيل حملته اتجه أخيرا مع أسطوله إلى بلاد الشام سنة 626هـ / 1229، غير أن الأحوال التي كان يعاني منها الكامل تغيرت، فالمعظم عيسى كان قد توفي سنة 624هـ/1227 م، وتولى بعده ابنه الناصر داود[7]، و هو بطبيعة الحال لم يكن لديه من الخبرة أو القوة ما يجعله مصدر خطر على الكامل و غيره، وبذلك لم تعد حاجة إلى مساعدة الامبراطور.[8]

أخذت الرسل تتردد بين الكامل و فرديريك الذي أبى أن يرجع إلى بلاده إلا بما و قع الشرط عليه – قبل وفاة المعظم عيسى – من تسليم القدس إليه، و رأى الملك الكامل أنه إن شاقق الإمبراطور،

---

[1]. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1985، ج3، ص197، غنيم، المرجع السابق، ص 94.

[2]. الملك الكامل: هو أبو المعالي محمد بن الملك العادل بن الملك العادل الأيوبي، تولى السلطة في مصر سنة 615هـ / 1218 م ، استطاع التصدي للصليبيين الذين جاءوا لغزو مصر أولا، توفي سنة 635 هـ / 1237 م، أنظر ابن خلكان: المصدر السابق ، مج 5، ص 79 – 83.

[3]. المعظم عيسى: هو شرف الدين عيسى بن الملك العادل الأيوبي، ولد في القاهرة سنة 578هـ / 1172 م، تولى حكم دمشق بعد وفاة أبيه العادل، و توفي سنة 624 هـ / 1227م ، ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص 494- 496.

[4]. فردريك الثاني: هو ابن هنري السادس ملك المانيا، و لد سنة 590هـ / 1194م، ورث عرش صقلية عن والدته، و تولى العرش الإمبراطرية الرومانية، وظل في حكمه لها حتى وفاته سنة 648 هـ /1250م، **New Catholic Encyclopedia , vol.5 , p. 926 .**

[5]. ابن واصل، المصدر السابق،ج4، ص 234، ابن الوردي، المصدر السابق، ج 2،ص 135.

[6]. عن هذه المحاولات أنظر:. **T. E. Tout., The empire and the papacy (1212 – 1273) , London, 1909, pp. 365 – 367.**

[7]. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص491، الناصر داود: هو الملك الناصرداود بن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل بن أيوب، ولد سنة 603هـ / 1208م، ولي السلطنة بعد وفاة أبيه، إتفق عليه عماه الكامل و الأشرف، و أخذا منه دمشق، صسار إلى الكرك التي كانت لوالده من قبل، و توفي سنة 657 هـ / 1258م ،الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مج1،ص 419.

[8]. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ، ج2، ص243- 244.

و لم يف له أن يفتح له باب القتال مع الصليبيين، و يتسع الأمر، فرأى أن يعقد معه إتفاقية تمنحه بيت المقدس، و يهادن الصليبيين مدة، ثم هو قادر على انتزاعها منهم متى شاء ذلك.[1]

و بالفعل وقع الاتفاق بينهما، على أن يأخذ الإمراطور بيت المقدس، و يبقيها على ما هي عليه من الخراب، و لا يجدد سورها، و أن يكون المسجد الأقصى في أيدي المسلمين، لا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط، و يقيمون فيه شعار الإسلام من الأذان و الصلاة، كما أعطاهم ضياعا في طريقهم إلى القدس من عكا،[2] و تقرر الصلح لمدة عشر سنين و خمسة أشهر و أربعين يوما.[3]

و عندما وصلت الأخبار بتسليم بيت المقدس إلى الصليبيين " قامت القيامة" في بلاد الإسلام، و إشتدت العظائم بحيث أنه أقيمت المآتم،[4] فعلت الأصوات بالصراخ، و إشتد البكاء، و أنشد القائل قصيدة منها:

على قبة المعراج و الصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل و حي مقفر العرصات[5]

كما حضر الأئمة و المؤذنون الذين كانوا في المسجد الأقصى إلى باب دهليز الملك الكامل، فأذنوا على باب الدهليز في غير وقت الأذان، فشق ذلك على الملك الكامل.[6]

و لما رأى الملك الكامل ذلك قال:" إنما لم نسمح لهم إلا بكنائس و خراب، و الحرم و ما فيه من الصخرة المقدسة، و سائر المزارات بأيدي المسلمين على حاله، و شعار الإسلام قائم على ما كان عليه، و والي المسلمين متحكم في رساتقه[7] و أعماله.[8]

[1]. ابن واصل، المصدر السابق، ج 4، ص 241- 242.
[2]. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 353.، مجبر الدين الحنبلي، المصدر السابق، مج 1، ص 555.
[3]. ابن العديم، المصدر السابق، ص 475.
[4]. ابن العميد، المصدر السابق، ص 15 -16.
[5]. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج22، ص96.
[6]. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص355- 356.
[7]. رساتق: جمع رستاق، و هو لفظ فارسييعني الموضع المشتمل على مزارع و قرى كثيرة، مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص 21.
[8].ابن واصل، المصدر السابق، ج4، ص 243- 244.

و لما تم أمر الهدنة استأذن الإمبراطور الملك الكامل في زيارة بيت المقدس، فأذن له، وسير معه القاضي شمس الدين (قاضي نابلس) في خدمته، فسار معه إلى الأقصى، فأعجبته عمارته وعمارة قبة الصخرة، و لما وصل إلى محراب الأقصى أعجبه حسنه و حسن المنظر، و صعد في درجه إلى أعلاه ثم نزل، و عندما خرج من الأقصى، راى الإمبراطور قسيسا وبيده الأنجيل، و هو يريد دخول الأقصى، فصاح عليه صيحة منكرة، و قال:" ما الذي أتي بك إلى هنا؟ و الله لئن عاد أحد منكم يدخل إلى ها هنا بغير إذن لأخذن ما في عينيه، نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل و عبيده، و إنما تصدق علي و عليكم بهذه الكنائس على سبيل الإنعام منه، و لايتعد أحد منكم طوره، فمضى ذلك القسيس و هو يرعد خوفا منه.[1]

و يبدو أن فريدريك كان يريد أن يظهر احتراما لبنود الإتفاقية مع السلطان الكامل، فلا يريد ان ينتهك البند الخاص بزيارة الأماكن المقدسة منذ أول يوم، و أمام بصره.[2]

وعندما نزل الإمبراطور في دار بيت المقدس، أمر القاضي شمس الدين المؤذنين ان لا يؤذنوا تلك الليلة فلم يؤذنا البتة، فلم أصبح الإمبراطور، سأله لما لم يؤذن المؤذنون كعادتهم؟ فقال له القاضي: منعهم المملوك، إعظاما و احتراما، فقال له الإمبراطور: أخطأت في ما فعلت،و الله إنه كان أكثر غرضي في المبيت في القدس أن أسمع أذان و أسمع تسبيحهم بالليل.[3]

و على أي حال، فلقد رحل الإمبراطور إلى عكا، ومن هناك عاد إلى بلاده آخر جمادى الآخرة سنة626 هـ / 1229م، [4] و قد استمر مصافيا للملك الكامل، موادعا له، و المراسلات بينهما متصلة إلى ان توفي الملك الكامل، و جاء بعده ابنه العادل سيف الدين فصاف الإمبراطور، و واده ، وراسله.[5]

[1].ابن واصل، المصدر السابق، ج4، ص 244- 245، المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 354.
[2]. صلاح ضبيع، دور الألمان في الحروب الصليبية في بلاد الشام، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط1، 2009، 338.
[3]. ابن واصل، المصدر السابق، ج 4، ص 235، المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 354.
[4]. المقريزي، السلوك ، ج1، ص 354-355.
[5].ابن واصل، الصدر السابق، ج 4، ص 246.

و أما عن أحوال المسلمين و المسجد الأقصى في هذه الفترة، فتظهر من خلال هذه الفقرة التي أوردها شمس الدين السيوطي:"...و أما ما كان من أمر الفرنج فإنه لما أعطاهم الكامل بيت المقدس، و سمح لهم تراجعوا إليه و دخلوه و قاموا به ، و فيه المسلمون و كل طائفة منها في ما هم فيه : هؤلاء في عبادتهم و صلواتهم وأذكارهم ، و هؤلاء في كفرهم و شركهم، و الدار جامعة لهم واحدة، فالمسلمون من أجل ذلك في غاية الحسرة، و الضر، و الضنك، و التشوش".[1]

المطلب الثالث: تحليل و مقارنة بين معاملة الصليبيين للمسلمين بعد الاستيلاء على بيت المقدس و معاملة المسلمين لهم بعد تحريرها:

كتب المؤرخون كثيرا في مؤلفاتهم حول معاملة الصليبيين للمسلمين في كل مرة تم الاستيلاء فيها على بيت المقدس، فذكروا أنه في الحملة الصليبية الأولى هرب عدد كبير من سكان المدينة إلى المسجد الأقصى،إيمانا منهم بأنهم سيجدون هناك ملاذا آمنا من بطش الصليبيين و غدرهم، معتقدين أنه مهما بلغ تعطش أولئك الصليبيين لسفك الدماء،فلن يجرؤ أحد منهم على اقتحام الأماكن المقدسة و إتيان المنكر فيها، و لكن الصليبيين لم يراعوا حرمة بيت الله، و أخذوا يشهرون فيها سيوفهم دون رحمة أو شفقة، و هذا نفسه ما نراه في واقعنا اليوم وما يجري في بيت المقدس من اقتحامات صهيونية معتدة على المسجد الأقصى بشتى الوسائل و الأسلحة ، تدنيسا له دون مراعاة لحرمته و قداسته، و نرى أيضا أن الصليبيين آنذاك أيام الحروب الصليبية قاموا بقتل المسلمين الذين صعدوا إلى سطح المسجد الأقصى بدم بارد، و قد أفاضت المصادر اعربية عن هذه المذبحة، بل و ذكرت أن عدد من قتل من المسلمين في هذه المذبحة بلغ سبعين ألفا أو يزيدون، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين ، و علمائهم، و زهادهم ممن فارق أهله و وطنه، و جاور بذلك الموضع الشريف (المسجد الأقصى).

أما المؤرخون اللاتين فقد وصفوا هذه المذبحة بصفات تدل على مدى الشناعة و الوحشية التي جرت على أيدي الصليبيين، فلقد ذكر أحدهم أن حشدا من الفرسان و المشاة الصليبيين دخلوا

[1]. السوطي ،المصدر السابق، ق 1، ص287.

المسجد، و ذبحوا المسلمين هناك ذبح الشياه، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا، وأذكر أن وليم الصوري قد ذكر مرة عن تلك المذبحة أن الصليبيين خاضوا بخيولهم في الدم الذي وصل إلى ركبهم و سروج خيولهم.

أما عن معاملة المسلمين للصليبيين بعد تحريرهم لبيت المقدس ، خاصة في عهد صلاح الدين ، فقد تجلت أخلاق المسلمين السمحاء في الرفق بالناس و الشفقة عليهم، و احترام دينهم ، بل و حمايتهم ما داموا في ذمتهم، و الكل رأى أخلاق صلاح الدين التي تجسدت آنذاك بكل سطوع، حتى اعترف له العدو قبل الصديق، و إن كان صلاح الدين قد اقتدى بقائد رحيم في بالناس في الجهاد، فقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه و سلم ، حين امتثال لقول الله تعالى: (فاصفح الصفح الجميل) .

و بناء عليه نرى الفرق الشاسع الواسع بين أخلاق الكفار و أخلاق المسلمين، و أن التأريخ دائما يعيد نفسه بهذا الشأن، خاصة أنه لا يخف علينا ما يفعلونه في الوقت الحالي ببيت المقدس من تحريض و احتضان للكيان الصهيوني ، و مساعدته على اغتصاب لأراضيه المقدسة و البطش بأهله، و التنكيل بالأسرى داخل سجون الاحتلال الصهيوني.

لا فرق أبدا بين سياسة الصليبيين الوحشية على المسلمين في الحروب الصليبية، و وحشية الصهاينة حاليا في بيت المقدس، و لكن أخلاق المسلمين في الحرب و السلم على حد السواء تظلل هي الأخلاق الأقرب للرحمة بالناس مهما اختلفت معهم في أديانهم، و هذا ما اعترف به العدو لصلاح الدين الأيوبي و كل من خاض معه المعارك ، وامتثل لأوامره ، حين أمرهم باحترام مقدساتهم، و حماية ذممهم.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد دراستي لموضوع بيت المقدس بين المسلمين و الصليبيين خلال العصر الأيوبي توصلت إلى جملة من النتائج و الاستنتاجات :

- إظهار المكانة العظيمة التي حضي بها المسجد الأقصى في نفوس المسلمين و الأمر بشد الرحال إليه و مضاعفة الصلاة فيه ، و كذا مكانته الهامة لدى الصليبيين.
- غاية العالم الغربي المسيحي في سلب و نهب خيرات الشرق واستنزاف ثرواته و امتلاك مقدساته.
- قيام الدولة الأيوبية على أنقاض الخلافة الفاطمية في مصر، بقيادة صلاح الدين الأيوبي وسعيه لتوحيد صفوف الجبهة الإسلامية بالعمل العسكري و التجهيز له عدة و عتاد، مستعينا بالدول المجاورة لدولته لتحقيق هذه الغاية، من خلال السعي إلى الحفاظ على الشرعية و تثبيت ركائز الوجود الإسلامي بالمنطقة.
- استمرار السلطان الناصر في سياسته مع القوى الإسلامية خاصة الخلافة العباسية، قبل دخوله ف معارك محتدمة عسكرية مع الغزاة الصليبيين.
- أعاد صلاح الدين هيكلة دولته و وحد صفوف المسلمين تحت جبهة واحدة كي يتفرغ للجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- عرفت دولة صلاح الدين و الدولة الصليبية فترتين من الصراع، تميزت الفترة الأولى بالدفاع و تفضيل السلطان الناصر لعقد المعاهدات ليتفرغ لتنظيم دولته، أما الدور الثاني فقد أخذ شكلا من أشكال الصراع العسكري يتخلله في الكثير من الأحيان الاتفاقيات و المعاهدات.
- كان الانتصار الباهر الذي حققه صلاح الدين، وخاصة تحريره لبيت المقدس يرجع إلى حنكته السياسية و التي بفضلها قويت به شوكة المسلمين.

- نقض معاهدات المهادنة من الطرف الصليبي عدة مرات عكس ما كان عليه صلاح الدين الذي حافظ على عهوده مع العدو.
- كان من بين الأمور التي تميزت بها المعاهدات تبادل الهدايا الفاخرة وإعداد ولائم الإستقبال الحسن تشييدا بصورة دولهم.
- حرص صلاح الدين على أن لا تكون فترة المعاهدات أكثر من سنة عدا صلح الرملة.
- تغيير جذري و ملموس في سياسة الملك العادلمع الصليبيين، مقارنة بسياسة معهم.
- التفريط المبالغ فيهمن الملك الكامل و تسليمه للقدس .
- عدول بعض ملوك الدولة الأيوبية عن المصلحة للمسلمين ، وانشغالهم بمصالحهم الشخصية (الصراع حول السلطة).
- بعد المقارنة بين معاملة الصليبيين للمسلمين ، و معاملة المسلمين للصليبيين في هذه الفترة من المواجهة اتضح الفرق الواسع بين اخلاق المسلمين و سماحة دينهم ، و وحشية الصليبيين.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

1. ابن شداد ،النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية –سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين شيال، ط2 ، ج 3 .
2. الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، 1969، ص 203 .
3. السامرائي، خليل وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي 132-656هـ/749-1258م، مطابع دار الكتاب والنشر، الموصل-1988م.
4. شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط3، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ج5.
5. . عوض محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي معركة أرسوف ،ط1، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية،القاهرة، مصر ،
6. . محمد ماهر حمادة ، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية ، ط 3 ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة،1977 ،ج 5.
7. .أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ج5،
8. .البخاري
9. .ل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة :محمد الدين حف ناصف ، مراجعة : علي أدهم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د.ت).
10. 488هـ/1095م وصف بأنه عبر محمود السيرة، توفي عام 507هـ/1113م، للمزيد ينظر سبط ابن الجوزي، المرجع السابق، ج8، ق1، ص111، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص205.
11. ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة- 1963.
12. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد، (د.ط)، ج1.
13. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8،
14. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت:597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، دار صادر، بيروت لا.ت وج7، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار المسماة بالخطط المقريزية، القاهرة لا.ت، ج1،
15. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للأدباء اليسوعيين، بيروت ، لبنان، 1890
16. ابن العديم، أبو القاسم كمال الدين عمر (ت:660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق-1968م، ج2.
17. ابن العديم، زبدة الحلب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2.
18. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر،(د.ت)، ص6، الذهبي، المصدر السابق، ج 13
19. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة(ت:550هـ/1155م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت-1908م .
20. ابن إياس،نزهةالأمم في العجائب و الحكم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

21. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب ، مصر ، 1963، ج5.
22. ابن تيمية ، مناقب الشام و أهله ، ط 1 ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، 1960 م ،
23. ابن حماد،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول محمد البدوي، الجزائر، (د.ت).
24. أبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (د.ت)، ج5.
25. ابن رجب، مجموع الرسائل ،تحقيق: أبو مصعب طلعت فؤاد الحلواني، (د.ط)، دار المعارف ، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص 238.
26. ابن سباط، صدق الأخبار،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،ط1، جروس بريس، طرابلس لبنان، 1994، ج1
27. ابن شداد، المصدر السابق، ص232، أبو شامة، المصدر السابق، ج4
28. ابن عبد الحق، مراصد للإطلاع، تحقيق : على محمد بجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج1
29. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العموري ، (د . ط) ، دار الفكر ، بيروت ، 1995 م ، ج 1 ،
30. ابن قاضي شهبة، الكواكب تادرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971.
31. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق احمد أبو ملحم و آخرون، بيروت-1987م، ج12.
32. ابن ميسر، أخبار، مصر اعتناء هنري مارسية، القاهرة، 1919م، ، ج2.
33. ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين شيال، دار الكتب و الوثائق القومية، 1975، ج 6 .
34. ابن واصل، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبج القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ت).
35. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:697هـ/1297م)، مفرج الكروب في دولة بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر-1953م، ج1.
36. أبو الفداء ، المصدر السابق، ج 3، ص 172، العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ط1، دار النهضة العربية ،القاهرة ،(د.ت).
37. أبو بكر الواسطي، فضائل البيت المقدس، تحقيق أبو المنذر،ط1، تحقيق و تخريج و دراسة أبو المنذر الحويني، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، 2010.
38. أبو خليل شوقي ، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق .
39. أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق : إبراهيم الزريق ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1997 م ، ج 1.
40. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم زريق، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997، ج2.
41. أبو شامة، المصدر السابق، ص13، ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، ط2،دار الكتب العلمية ، بيروت 2002، ج5
42. أبو محمد، عبدا لله بن اسعد بن علي بن سليمان، مراةالجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يفيد من حوادث الزمان، بيروت-1390هـ، ح3.
43. أحمد الشامي، صلاح الدين و الأيوبيون ، ط1، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة، 1991.

44. أحمد الشلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959. ج5.
45. أحمد رمضان أحمد ، شبه جزيرة سيناء.
46. أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 م.
47. ادوارد بروي، القرون الوسطى في تاريخ حضارات العالم، ترجمة داغر وآخرون، بيروت- 1965م، ج3.
48. ارنست باركر،الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.ن.
49. ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لا.ت،
50. الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، المطبعة الخيرية ، مصر ، 1322 هـ .
51. أمين حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد-1965م.
52. الإنجيل،الكتاب المقدس ، (د.ط)، دار الشر وق، بيروت، 1986م،الإصحاح 3.
53. البخاري ، الصحيح ، برقم (1190) ، مالك بن أنس ، الموطأ ، صححه و رقمه و خرج أحاديثه و علف عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، برقم : (196/1).
54. البعلبكي ، معجم أعلام المورد ، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، 1962م .
55. البيهقي، السنن الكبرى، ط1، مؤسسة جواد للطباعة و التصوير، بيروت، 1356هـ ، ج1.
56. جورج يوست ، قاموس الكتاب المقدس ، المطبعة الأمريكانية، بيروت ، لبنان ،1901م ،ج 1 .
57. الحجازي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، القاهرة، 1970
58. الحريري ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط2، مطبعة النيل ، مصر ،1929.
59. حسن، علي ابراهيم، تاريخ جوهر الصقلي(قائد المعز لدين الله الفاطمي)، القاهرة-1963م.
60. حمدي عبد المنعم حسين ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 م .
61. الحميدة، سالم محمود، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-1990م، ج1.
62. الخياط، المختصر في الكامل، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،(د.ت)..
63. الدواداري ،كنز الدرر و جامع الغرر ، (الدر المطلوب في اخبار بني أيوب) ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مركز و دور للمخطوطات ، القاهرة ، 1972 م ، ج 7 .
64. الذهبي ، (ت 748 هـ / 1348 م) ، نزهة الفضلاء ، تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد حسن عقيل ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، المملكة العربية السعودية
65. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1985، ج3، غنيم.
66. زابوروف ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986.
67. سالم سيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شهاب ،بيروت،1970م، ص82؛عمران محمود سعيد، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، الإسكندرية، 1978م
68. سبط ابن الجوزي، مرآة الأمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد الدكن، 1951م، ج8- ق1.
69. ستيفان رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت ، 1968 ،ج 1

70. سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة-1959م.
71. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أضواء على الحروب الصليبية ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة،1964.،
72. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 38 -40 ، عبد الله راغب ،حامد ، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلليه الآداب – 1983 م.
73. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الناصر صلاح الدين ، دار القومية للنشر و الطباعة ، مصر ، 1965 م .
74. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك ،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1982.
75. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام ، ط2، دار النهضة العربية ،القاهرة، 1976.
76. سفينسيسكايا ، المسيحيون الأوائل و الإمبراطورية الرومانية ، خفايا القرن ، ترجمة : حسان مخائيل إسحق ، ط 1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 2007 م.
77. سلامة جلال حسني ، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، دار الفاروق ، نابلس ، فلسطين ، 1998 م
78. السلبي أحمد، التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ط7، دار النهضة المصرية القاهرة، 1986 ،
79. السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، دار النهضة العربية،(د.ت)
80. السيوطي ، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق : أحمد رمضان أحمد ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ، 2005 ، ، ج 1.
81. صورايال عزيز عطية، الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب ، ترجمة فليب صابر سيف، ط2، دار الجيل، القاهرة ، 1990، ص 69.
82. الطبراني في الأوسط و الحاكم في المستدرك، و صححه الألباني في الصحيحة .
83. الطيار هيفاء عاصم محمد، دور العراق القومي في الدفاع عن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2001م.
84. العابد، صالح الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها المهدة؛ مجلة المورد، العدد4-مج 16، بغداد- 1987م،.
85. عامر سامية ، الصليبيون في فلسطين و بلاد الشام ، ط 1 ، عين للدراسات ، القاهرة ، 2002 م .
86. عبد العزيز السيد، أيام صلاح الدين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، مصر،1994.
87. عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة.
88. عبدا لله راغب حامد، الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الأوربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب-1983م.
89. عبلة المهتدي، القدس تاريخ و حضارة، ط1، دار نعمة، الأردن،2000.
90. العدوي، إبراهيم احمد، التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية و أبعاده الحضارية، ط8، المكتب الإسلامي، بيروت،2000،
91. عصام شبارو ، السلاطين في المشرق العربي – الأيوبيون – ، دار النهضة للطباعة العربية و النشر و التوزيع، بيروت،1994

92. عصمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة و مسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية ، دار المعارف، القاهرة، 1982.
93. على محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى، 2008م.
94. علي السيد علي ، القدس في العصر المملوكي ،دار الفكر للدراسات و التوزيع،مصر، (د.ت)،ج1
95. علي سعود عطية ، تاريخ الحروب الصليبية ، الشركة العربية للتسويق و التوريدات ، ط 1 ، القاهرة .
96. العماد الأصفهاني ، سنا البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، 1998.
97. عمارة، محمد، دراسات في الوعي بالتاريخ، دار الوحدة (د.ت).
98. عوض محمد مؤنس ، صلاح الدين الأيوبي انتصارات و انكسارات،جامعة الشارقة، 2019.
99. عوض محمد مؤنس ، في الصراع الإسلامي .
100. عوض محمد مؤنس ، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية ، مكتبة الآداب، 2015،(د.م.ن)، ص 414 .
101. غنيم، دراسات في تاريخ إمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،1991.
102. فورشيه شارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، (د.م.ن)، (د.ت).
103. الفيتري يعقوب، تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق، الأردن، 1998.
104. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن ، ج5، ط 1، 1408 هـ ، دار الكتب العلمية، لبنان.
105. الكتاب المقدس ، الإنجيل متى ، الإصحاح 28 : 1 – 5 .
106. الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مج1.
107. كلود كاهن، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سيناء للنشر،(د.ت).
108. كوبلاند، ج.د، الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، المطبعة العالمية،القاهرة –1946م.
109. لامب ، هارولد ، شعلة الإسلام ، قصة الحروب الصليبية ، ترجمة : محمود عبد الله يعقوب ، مراجعة : جمال الدين الشبال ، مطبعة الإرشاد ، بغداد – 1967.
110. مانع بن حماد الجهيني ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة ، م 2 ، ط 4،دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، (د.ت).
111. مجبر الدين الحنبلي، الأنس الجليل، المطبعة الحيدرية و مكتبتها في النجف، 1976
112. محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1986 م.
i. محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية الإسلامية و الأماكن المقدسة، دار الهلال ، القاهرة ، (د .) .
113. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الأيوبين، ط2، دار النفائس، عمان، الأردن،(د.ت) .
114. محمد سهيل طقوش، الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم، شركة النبراس وفرانكلي، بغداد–1967م.
115. محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط4، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، .

116. محمد علي كرد ، خطط الشام ، المطبعة الحديثة، دمشق، (د.ت)،ج 1
117. محمد فريد عبد القادر ، معارك فاصلة في تاريخ الإسلام، ط1، دار المستقبل العربي،(د.ت)
118. محمد كرد علي، خطط الشام، ط 3، مكتبة النوري، دمشق، 1987، ج 1
119. محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقة بين الشرق و الغرب ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ط 1 ، القاهرة ، 2000.
120. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994
121. مقبل فهمي توفيق ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، (د.م.ن)،(د.ت).
122. المقدسي، الأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ،
123. المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م ، ج 1 .
124. المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ط1 ،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت)، ج 1 .
125. المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق حلمي محمد احمد، مصر-1971م، ج2
126. المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ط 2 ، دار المعارف ، بيروت ، 1972 م
127. 127. الطيار هيفاء عاصم محمد، دور العراق القومي في الدفاع عن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2001م

128. منظور ، لسان العرب ، ج 3 ، ص 24 ، كرد علي ، خطط الشام ، ج 6
129. مؤلف مجهول، إعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر-1958م.
130. مؤيد الدين الشيرازي، هبة الله(ت:470هـ/ 1077م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق، محمد كامل حسين، مصر-1949م، ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن الشهير بذي النسبين (ت:633هـ/1235م)؛ النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد.
131. ميخائيل مكسى إسكندر ، القدس عبر التاريخ ، مراجعة و تقديم : الأبنا غريفو ريوس ، (د . ط)، مطبعة رمسيس ، الجيزة ، 1972 م.
132. نضير حسان سعداوي ، الحرب و السلام زمن العدوان الصليبي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1961 م ، القاهرة .
133. نورمان، التاريخ وسط قصة الحضارة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات ، القاهرة، 1997، ج2.
134. هـ-ي، سويتار، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة- 1957م.
135. وفاء محمد علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر و الشام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1407 هـ ..
136. وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ترجمة : حسين حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 م ، ج 4 .
137. ياقوت الحموي،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1977ج 1 ،
138. يوحنا قورزيورغ ، وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة : سعيد عبد الله البيشاوي، ط 1 ، دار الشروق، عمان ، الأردن ، 1997 م .

139. يوسف، جوزيف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- 1989م.

1 . The new Encyclopedia Britannica, U.S.A 1951, Vol, 6, P,771.

[1] .Oman،C.W.C. A History of the Art of war in the Middle Ages، London1924،. P.309.

[1] .Otto of St. Blasion , The Third Crusade 1187 -1190 , From The Chronicle of Otto of St . Biasion , O , Thatcher m Source Book of ;edieval HISTORY , New York 1902 , PP . 529 – 535 .

Michaud , J , F : Histoire des croisads , imprimerie nationale , paris , 1877 , ...

[1].Grousset ،R. Histoires de Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem . Paris. 1924. 3. P .71.

[1].Stevenson.W. The Crusaders in the East : Cambridge،1907: P. 276.

[1]Jonath Riley Smith , The First Crusade and the idea 11–of Crusading , p . 99 .

New Catholic Encyclopedia , vol.5 , p. 926 .

T. E. Tout., The empire and the papacy (1212 – 1273) , London, 1909, pp. 365 – 367.

[4]. Kevin medeires:op, cit, p8-9 various Authors: Encylopadia Britnnica :الرسائل Dictionary, 11 edition, Gutenberg Book, London 2006, V5, P279.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة معركة حطين.

الملحق رقم 02: خريطة الشرق الأدنى

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الإهداء	.....
شكر و عرفان	.....
قائمة الاختصارات والرموز	.....
مقدمة:	.....أ
الفصل الأول: حروب الفرنجة ودوافعها	 2
المبحث الأول: مكانة بيت المقدس	 2
المطلب الأول : مكانة بيت المقدس لدى المسلمين	 2
المطلب الثاني : مكانة بيت المقدس لدى النصارى	 5
المبحث الثاني: حالة العالم الإسلامي والغرب المسيح قبيل الحروب الصليبية	 10
المطلب الأول : أوضاع العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية	 10
المطلب الثاني :أوضاع الغرب المسيحي قبيل الحروب الصليبية	 17
المبحث الثالث: الحروب الصليبية ودوافعها	 18
المطلب الأول : ماهية الحروب الصليبية	 18
المطلب الثاني :دوافع الحروب الصليبية	 21
الفصل الثاني: نشأة الدولة الأيوبية	 32
المبحث الأول: تأسيس الدولة الأيوبية	 32
المطلب الأول : نسب صلاح الدين الأيوبي ونشأته	 32
المطلب الثاني : نشأة الدولة الأيوبية	 38
المبحث الثاني : صراع صلاح الدين ضد الصليبيين	 41
المطلب الأول : الدور الأول من الصراع بين صلاح الدين الأيوبي و الصليبيين	 41
المطلب الثاني: معركة حطين و نتائجها	 44

المطلب الثالث: تعامل المسلمين مع الصليبيين بعد تحرير بيت المقدس 47
المبحث الثالث: صلاح الدين بعد معركة حطين 51
المطلب الأول : معركة أرسوف (587هـ / 1191 م) و نتائجها : 51
المطلب الثاني : جوانب الاختلاف بين حطين و أرسوف : 57
الفصل الثالث: القدس بين المفاوضات و التسليم عند الأيوبيين 62
المبحث الأول: بيت المقدس على طاولات المفاوضات 62
المطلب الأول : المفاوضات بين صلاح الدين و ريتشارد قلب الأسد..... 62
المطلب الثاني: صلح الرملة و وفاة صلاح الدين. 65
المبحث الثاني: بيت المقدس في عهد الملك العادل (569– 615هـ / 1147 –1214م)..... 68
المطلب الأول: الملك العادل و مجريات الجهاد مع الصليبيين 68
المطلب الثاني: تسليم القدس على يد الكامل (627هـ / 1229م) 75
المطلب الثالث: تحليل و مقارنة بين معاملة الصليبيين للمسلمين بعد الاستيلاء على بيت المقدس و معاملة المسلمين لهم بعد تحريرها: 79
الخاتمة:..... 82
قائمة المراجع والمصادر 85
الملاحق..... 93
فهرس المحتويات..... 96
ملخص البحث: 98

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع بيت المقدس بين المسلمين و الصليبيين خلال العصر الأيوبي (570- 627 هـ / 1174 – 1229م)، منذ تولي صلاح الدين الأيوبي لإدارة و قيادة الجيوش الإسلامية لمواجهة الغزو الصليبي إلى غاية وفاته ، بعد نجاحه في استرداد بيت المقدس و تحيرها في معركة حطين (583هـ/ 1187م).

الهدف من هذه الدراسة هو التعمق في طبيعة العلاقات الأيوبية مع الصليبيين زمن صلاح الدين و الملك العادل و الملك الكامل من بعده، و يعنى هذا البحث بدراسة المواجهات العسكرية بين هؤلاء مع الصليبيين، و علاقاتهم الدبلوماسية على حد السواء، و من خلال تسليط الضوء على أهم المعارك ، و أهم المفاوضات و الاتفاقيات المبرمة .

أتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، و المنهج التحليلي المقارن، لكي الهدف من البحث، ثم جمع المادة العلمية للبحث من المصادر و المراجع العربية والبعض منها أجنبية ، و من خلال هذا البحث يتضح للباحث أن فترة حكم صلاح الدين و خوضها للمارك من أجل النصر و تحرير بيت المقدس، من أهم الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية و العالم ككل، من خلال ما أنجزه هذا القائد في انتصاراته الحربية ضد الصليبيين، و تعاملاته الدبلوماسية السلمية، و تمتعه بالذكاء الذي مكنه من إبرام المعاهدات، انعكست إيجابيا على مكانة دولته و حكمه، كما سيظهر للباحث أن تخاذل من جاء بعده إلى عرش الحكم خاصة الملك العادل و الملك الكامل قد غيرا في موازين القوى و الانحراف عن سياسة صلاح الدين التي تميزت بالجهاد و مواجهة العدو دون الإفراط في السلم الذي أدى إلى تسليم القدس في عهد الكامل.

Search summary:

This research deals with the issue of the Sacred House between Muslims and Crusaders during the Ayubian era (570-627 AH / 1174 – 1229 AD), since Salahuddin Al-Ayoubi took over the management and command of Islamic armies to confront the invasion Al-Sulaibi until his death, after his success in recovering the holy house and baffling it in the battle of Hattin (583 AH/ 1187).

The aim of this study is to delve deeper into the nature of the Cuban relations with the Crusaders at the time of Salah al-Din and the just king and the full king after him, and this research is concerned with studying the military confrontations between these and the Crusaders، And their diplomatic relations alike, and by highlighting the most important battles, the most important negotiations and agreements concluded.

I followed in this research the descriptive historical approach, and the comparative analytical approach, in order to aim the research, then collect the scientific material for research from Arab sources and references, some of which are foreign ، And through this research it becomes clear to the researcher that the period of Salah al-Din's rule and its fight against the Mark for victory and the liberation of the Holy House is one of the most important periods that the Islamic nation and the world as a whole have gone through، Through what this leader accomplished in his war victories against the Crusaders, his peaceful diplomatic dealings, and his enjoyment of the intelligence that enabled him to conclude treaties.

I positively reflected on the position of his state and his rule، It will also appear to the researcher that the failure of those who came after him to the throne of government, especially the just king and the full king, has changed the balance of powers and deviated from the policy of Salah al-Din, which was characterized by jihad and confronting the enemy without The excessive peace that led to the handover of Jerusalem during the reign of Kamel.